

المسحاة

مجلة

المجلد السابع عشر
الجزء الأول



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد السابع عشر)

١

(الجزء الأول)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الأبواب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٢ هـ ق ٨ الشتاء الاول ١٢٩٢ هـ ش ٢٨ ديسمبر ١٩١٣

فاتحة السنة السابعة عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٥٩:٢٧) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، اللَّهُ
خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣:٢٧) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ،
وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٣٥:٤٥) فَللَّهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ
الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦ وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم) فنعمده بما حمد به نفسه ، ونصلي ونسلم على خاتم أنبيائه
ورسله ، وصفوته من بني آدم الذين فضلهم على كثير من خلقه ، محمد

النبي الامي ، العربي الحجازي ، الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأثم به نعمته في الدنيا والدين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المهادين المهديين ، والتابعين لهم في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين .

وبعد فانا نذكر قراء المنار على رأس سنته السابعة عشرة بنحو ما ذكرناهم به في السنين الخالية ، من سوء عاقبة الإفراط والتفريط اللذين رزئت بهما أمتهم الجاهلة الغافلة ، - الإفراط في عبادة الهوى واتباع الشهوات ، والانهماك في الفواحش والمنكرات ، والمحافظة على البدع وسيئ العادات ، - والتفريط في حقوق الله وحقوق الأمة ، وما يجب من التزام هدي الكتاب والسنة ، ومجاراته الام بما يستطيع من حول وقوة ، ولا سيما قوة الاعتصام والوحدة ، وقوة العلم والمعرفة ، وقوة الكسب والثروة . ثم نذكرهم بتلك الآيات والعبر ، وهاتيك المواعظ والنذر ، وبما يفشون به في كل عام ، وما تسلب من ملكهم الامم والاقوام ، ويبيان سنن الله تعالى في الظالمين والمُسرفين ، (٤:٦) وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين (١٠:١٠) قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، وما تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠٢) - فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين) سبحان الله ! ان من العقلاء من يتعظ بالمبارة ، ومنهم من يكتفي بما توحى اليه الاشارة ، وانهم ليستنبطون من وقائع الاحوال ، ما يستعدون به لما ينتظر في الاستقبال ، ولو على سبيل القرض والاحتمال

(١) أي لا يصدقون بما تدل عليه الآيات وما تخوفهم به النذر والمواعظ لجهلهم وعدم تدبرهم

وان الام أشد من الافراد احتياطا، وأخفى حيلة وأدق استنباطا، وأوسع في المستقبل آمالا، وأكثر استمداداً له وأعمالا، لأنها أطول أعماراً، وأشد قوة واقتداراً، وأكثر أعواناً وأنصاراً، فما بال أمتنا لا تعظ بكلام الله ولا بكلام البشر، ولا تعتبر بما تشاهده من الأحداث والعبر، وكلما أنذرها الله بطشته تمارى بالنذر؟! (٥٤: ٤) ولقد جاءهم من الانبياء ما فيه مژدجر - حكمة بالغة فما تغني النذر * - ٢١: ٥٥ قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون

تركت هذه الامة هداية القرآن، فقاتها ما كانت نالت به من الملك والسلطان، والعلم والعرفان، والبسطة في العمران، وأمست غافلة عن سبب ذلك التوفيق وهذا الخذلان، بل أتى عليها أحقاب من الزمان، لا تشعر بكنه هذا الخسران، وقد استيقظ فيها الشعور بما فسد من أمر دنياها، قبل الشعور بما كان سبباً له من فساد أمر دينها، وبما خسرت من سلطانها وأملاتها، قبل الشعور بما خسرت من أخلاقها وملكتها، ولما شمعت بالخطر على حياتها المادية والسياسية، غافلة عن عللها الروحية وأسبابها المعنوية، شرعت في شيء من الاصلاح الصوري، بدون أن تؤيده بروح الاصلاح المعنوي، فعُد السلطان محمود مصالحاً بتغيير الزي الرسمي ونظام الجندية، والسلطان عبد الحميد مصالحاً باعلان التنظيمات الخيرية، والسلطان عبد الحميد مصالحاً بإنشاء نظارة العدلية، ومصطفى رشيد باشا مصالحاً بادخال الدولة العثمانية في سلك الدول الاوربية، ومدحت باشا وأعوانه مصالحين باقتباس القوانين الغربية الغربية، ومحمد علي باشا وأحفاده مصالحين بفرنجية البلاد المصرية، والامير عبد الرحمن

٤ فاتحة السنة السابعة عشرة للنار (المنار - ج ١ م ١٧)

خان مصلحاً بالتأليف بين القبائل الأفغانية. ولم توجه همه أحد إلى إصلاح الأخلاق والعادات، وإزالة البدع والمنكرات، وجمع الكلمة التي فرقها المذاهب واللغات، فما زاد الأمة ذلك الإصلاح الصوري الا ضرباً من الفساد، ولا أفاد الدولة الا إضعاف الاستقلال وإضاعة البلاد، (٤٤:٢١) بل متعناً هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر، أفلا يرون أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها؟ أفهم الغالبون؟

لا أقول ان جميع ما قام به أولئك الرجال لم يكن مطلوباً، ولا أقول ان ضرره وما ترتب عليه من الفساد كان ذاتياً، بل أقول ان أكثره كان ضرورياً، ولكنه لم يكن علاجاً لهذه الأمة من طيب اجتماعي، عرف من أمراضها الظاهري والباطني، فوصف لها من الدواء ما يزيل العلة، ويحفظ البنية ويقوي المنة، لذلك رأيناها بعد هذه المعالجات لم تزد الا مرضاً، حتى كادت تكون حرضاً، ازدادت ذلاً وفقراً، وتفرقاً وضعفاً، وفساداً في الأخلاق، واسرافاً في النفاق، وكان ما أدخل فيها من علوم الأمم القوية وقوانينها وآدابها، كالجسم الغريب الذي يدخل في البنية فيفسد مزاجها، لانه لم يكن على حسب استعدادها وحاجتها، بل كان تقليداً صورياً، أو عارضاً وقتياً، فنه ما كان ضاراً ومنه ما كان نافعاً، فأما الضار فأكثر ضرره التقاليد والقوانين الأفريقية، التي قطعت كثيراً من روابط الأمة المليّة، وأزالت ما أزال من مقوماتها ومشخصاتها الاجتماعية والأدبية، ولم تستبدل بها ما يحل محلها من مقومات الأمم الأوروبية، بل صارت عيلاً عليهم في جميع الشؤون، حتى انتهى ذلك إلى هذا القتون، بأن فقدت الاستقلال، باسم النفوذ أو الحماية أو

(المناجى ج ١ م ١٧) فاتحة السنة السابعة عشرة للعنار ٥

الاحتلال، (١٢:٩٦) وكذلك نولي بعض الظالمين إمضا بما كانوا يكسبون
١٣١ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ١٣٢ وَلِكُلِّ
درجات مما عملوا وما ربك بعاقل عما يعملون)

وأما ما كان نافعا من تلك الاعمال، التي وسمت بسمه الاصلاح،
فانما كان نفعه موضعيا، وعارضا لادائما، فكان كداواة بعض أعراض
الزهري (الداء الافرنجي) الظاهرة بما يزيلها، مع بقاء العلة في الباطن
(كتسم الدم) تصدر عنها آثارها، فما زال منه بالمعالجة الموضعية اليوم،
يظهر ماهو شر منه وأعصى على العلاج في الغد * كلما داويت جرحا سال
جرح * ذلك مثل ما كان في الدولة العثمانية، وهي اكبر مظاهر السلطة
في الامة الاسلامية، وخير منه ما قام به الامير عبد الرحمن، من جمع
كلمة قبائل الافغان، وتدريبها على القتال، الذي يحفظ به الاستقلال،
وكذا ما قام به الامير محمد علي في مصر، فانه بنى ركني الثروة والقوة على
أساس العلم، ولو أتم أحفاده ما بدأ به ببناء ركني الاخلاق والآداب،
على أساس الدين وسنن الاجتماع، ثم لهم تكوين الأمة، ولاستقام لهم
بالامة أمر الدولة، فهذا العصر عصر الامم والشعوب، لا عصر الامراء
والملوك، ولكن جميع أقبال المسامين، كانوا ولا يزالون عن هذا غافلين،
(٣٥: ٤٤) أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم وكانوا أشد منهم قوة؟ ٢١:٤٠ - أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في
الارض فأخذهم الله بذنوبهم * ٣٠: ٩ أولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الارض

وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

نعم انهم لم يسيروا في الارض، لاجل الاعتبار بسنن الله في الكون،
فينظروا في سوء عاقبة الامم الجاهلة النائعة ، ومصير الدول المستبدة
الظالمة ، وحسن عاقبة الامم العاملة العاملة ، وسيادة الدول المنظمة العادلة ،
وكيف ان اصلاح الارض وعمران الدور، لا يغني عن اصلاح الاخلاق
وارتقاء الجمهور ، ولو ساروا لما نظروا ، ولو نظروا لما أبصروا ، ولو أبصروا
لما اعتبروا ، (٢٢:٤٦) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
أو آذان يسمعون بها ؟ فانها لا تَعْنَى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور) وأي عمى أشد من عمى الاستبداد ؟ وهو مصدر كل فساد وفساد،
حتى انه يفسد الطباع ، ويغير الاوضاع ، ويقطع رابطة الزوجية ، ويزيل
عاطفة الابوة والبنوة ، فيغري الولد بقتل والده ، والوالد بقتل ولده ،
وكيف يؤمن على حياة أمته ، من لا يكبر عليه قتل والده أو ولده ، اذا هو
نازعه في سلطته ، أو عارضه في ارادته ؟ فانتظار الأمم ان يكون صلاحها
ورشادها ، ممن لاحظ لهم من حياتهم الا استدلالها واستعبادها ، اتباعا
لترفعهم ونعيمهم ، وافتتاننا باطرائهم وتعظيمهم ، يشبه طاب العلم من الجاهلين،
والتماس الهدى من الضالين، (١١ : ١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم
اولو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْاَرْضِ اَلَا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ، وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا مَجْرِمِينَ ١١٨ وما كان ربك ايهلك القرى
بظلم وأهلها مصلحون)

ألا انه لا بقاء مع ظلم وفساد ، ولا عدل مع استبداد ، ولا هلاك

مع اصلاح، ولا إصلاح للدولة، الا بصلاح الأمة، ولا صلاح لأمة الا اذا كان فيها بقية من أولي الرأي والعزم، يأصرون بالصلاح وينهون عن الفساد في الأرض، ولا تأثير للأمر والنهي، الا بإجماع الأمر وإحكام الرأي، ولا يفيد الإحكام والإجماع، الا مع مراعاة سنن الاجتماع، لا اختلاف استعداد الأقوام، باختلاف احوال الزمان والمكان، وزماننا هذا هو زمان الجماعات العلمية والأدبية والسياسية، والشركات الزراعية والصناعية والتجارية، فحظ الافراد الكثرين من معنى الامة، على قدر حظهم من إقامة هذه الاركان الستة، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ، على من لا نصيب لهم منها ولا حظ، الا على سبيل التجوز في القول، كما يطلق اسم الشيء على صورة الشيء، ومتى ملكت الامة بالجمعيات أمورها المعنوية، وبالشركات أمورها المادية، كانت جديرة بأن تقوم أمر حكومتها، وتقيمها على صراط شريعنها، لهذا كان همنا منذ سنة المنار الاولى، أن نذكر أهل العلم والرأي من المسلمين بهذه الطريقة المثلى، اهتداء بقوله تعالى (٨٧:٩) فَذَكَرْنا اِنْ نَعْمَتِ الذِّكْرِ ١٠ سِيذَكُرُ مِنْ يَخْشَى) وليس بعد اقامة حجة الله في الوري، الا فلاح من اتبع الهدى، وهلاك من آثر الهوى (٤٥:٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدَ اللَّهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ !

ألا وان أمر التربية والتعالم هو أهم ما يجب أن يוכל الى الجماعات، ولا يجوز أن يترك الى الافراد ولا الى الحكومات، لان المدارس للافراد دكا كين لكسب المال، وللحكومات معامل إسبك العمال، فكل

من الفريقين يتوخى في التعليم منفعة الخاصة ، وان باينت مصلحة الأمة العامة ، وانما تطلب الحكومة عمالا لها كآلات ، لا ارادة لهم ولا رأي ولا استقلال ، والافراد يتبعون سننها ويسرون على طريقها ، وانما ربح تجارتهم بروج بضاعتهم في سوقها ، وشر من ذلك ما ابتلي به جماهير المسلمين ، من ترك تربيتهم النفسية والعقائبة الى خصومهم في السياسة والدين !!! فكانوا بهذا الخزي من الاخسرين ، الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فأنى تصلح أمة تركت تجديداتها وتكوينها ، الى من لا هم لهم الا ازالة ملكها ودينها ??? كلا! انها كرة خاسرة ، يخسرون بها الدنيا والآخرة ، (١٧٨:٧) ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)

الام تصلح بالتربية ونحن قد افسدنا المربون - الافرنج والمتمرنجون - وترتقي بالعلم ونحن قد دلأنا العلماء المقلدون المقتونون ، وتقوى وتمتد بجميع المدارس لكلمتها ، ونحن قد أوهنتنا وشقت عصانا المدارس ، لانها إما معاهد سياسية وإلحاد ، وإما أديار وكنائس ، قد قطعت روابط الأمة الدينية والمدنية ، وقتلتها بالاهواء والشهوات الحيوانية ، وسرى سم تقليدها الى المدارس الاميرية والاهلية ، فالتخرجون فيها أقلمهم الذين يسلمون ، ومنهم الملعدون وأكثرم الفاسقون ، يجرفون روة الأمة الى الاجانب ، ويقذفونها بالفجور والنفوذ الاجنبي من كل جانب ، ويتغلبون فيها على المناصب ، فينالون منها جميع المآرب ، يحقرون لها سلفها ، ويعظمون

في نفسها كل ما هو أجنبي عنها ، فيقطعون جميع روابطها المالية ، ويزنون لها ذلك باسم المدنية ، فهم المنافذ والكوى التي يدخل منها الفساد ، وهم الآلات التي يستعين بها الأجانب على إدارة أمر البلاد ، لأنهم تربية مدارسهم ، بل صنع معاملهم ، أو الجيش السلمي لشكائهم ، ولا يتم لهم ما يسمونه الفتح السلمي بدونهم ، ولا أجل هذا ربوهم هذه التربية الدبذبة ، وحشوا مخيلاتهم بمسائل العلوم المضطربة ، فلام صاروا بها أوريين ، ولا ظلوا مسلمين أو شرقيين ، ولكنهم لغروهم باسم المدنية الافرنجية يفسدون على الأمة أمرها ، ويزعمون أنهم هم المصالحون لشأنها ، (٢: ١٠) وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ١١ الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) هكذا ذفف على جرح هذه الأمة من جعلوا انفسهم أساة لها وأطباء ، فكان اقتل أدوائها ما عالجوها به من الدواء ، ومن كان له عقل وبصيرة ، فليتدبر ما تقوله فيهم كتب الافرنج وصحفهم الشهيرة^(١) ومن اهمه ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسية ، عن مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ، في سياق الكلام على فتح العالم الاسلامي (الذي نشرناه في ص ٥١٦ م ١٥) وهذا

نصه : « اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية

على أن معاهد التعليم الثانوية التي اسسها الاوريون كان لها تأثير في حل

المسألة الشرقية يرجع على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول

أوربة كلها » !! فاذا لم يكن للمسلمين مدارس ملية ، تديرها حكومة أو

جماعات اسلامية ، فتريبهم على ما يجمعون به مصالحهم الدينية والدنيوية ، وإذا

(١) ومنها ما كتبه لورد كرومر في كتابه مصر الحديثة في سوء حال المتفرجين

(المجلد السابع عشر)

(٢)

(المنار - ج ١)

كانوا لا يعرفون للتعليم غاية الا المنفعة الشخصية ، وما يتخلون من المنافع
الخصيصة المادية ، فان اوربة تعرف كيف تنشئهم في مدارسها ومدارسهم
خلقا جديدا ، يكونون بها على توهم الحرية خدما لها وعبيدا ، فهم مقادون
من امامهم ، ومسوقون من ورائهم ، ولكن لا يدرون كيف بدءوا ولا
اين ينتهون ، (١٦ : ٢١ أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون أيا ن يُبعثون *
٣ : ١١٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً
وذوا ما عنثتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ،
قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون)

ألا انا في اشد الحاجة الى الصناعات الافرنجية ، وما تتوقف عليه
من العلوم والفنون العملية ، والى الاعتبار بتاريخهم ، وأطوار حكوماتهم
وجماعاتهم ، ولكن يجب ان يقوم باقتباس ذلك جماعات منا ، يجمعون بينه
وبين حفظ مقوماتنا ومشخصاتنا ، وأركانها اللغة والدين والشريعة
والآداب^(١) فمن فقد شيئا من هذه الاشياء فقد فقد جزءا من نفسه ،
لا يمكن ان يستغني عنه بمثله من غيره ، كما انه لا يستغني بعقل غيره عن
عقله ، ولا بجسم سواه عن جسمه ، وانما نستفيد من العبرة بحالهم ، كيف
ترقي لغتنا كما رقوا لغاتهم ، وكيف ننشر ديننا كما ينشرون دينهم ، وكيف
نسهل طرق العمل بشريعتنا وآدابنا كما سهّلوا طرق شرائعهم وآدابهم ،
ولنا ان نستعين على ما نستمدّه منهم ، بأهل الفضيلة والاستقلال من

{١} هذا التقسيم بحسب عرف العصر . والشريعة عند المسلمين بمعنى الدين والمراد

بها هنا احكام المعاملات من السياسة والقضاء والادارة والحرب . وهي موضع اجتهاد
أولي الامر في الدين الاسلامي . والآداب الاسلامية منبعا للدين وهي اعلى من
آداب الافرنج وأكمل

رجالهم ، الذين ليس لهم فينا اهواء دينية ، ولا مطامع سياسية استعمارية ، وبهذا نكون مهتدين بما امرنا الله به من السير في الأرض ، والاعتبار بأحوال الامم ، وبسنة سلفنا ، في جعل الحكمة ضالتنا ، واعتقاد انها حيث وجدت فنحن أحق بها ، (٢٤:٨) يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم الى حيكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا ان الله شديد العقاب ٢٦ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلمكم تشكرون ٢٧ يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وانتم تعلمون *

الدعوة الى انتقاد المنار

أمر الله تعالى بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونهى عن الغيبة وتوعد المقاتب ومن يحب شيوع الفاحشة ، وأوعد الهمزة اللزمة ، بالويل الشديد والحطمة ، فنحن نذكر كل من يطلع على منارنا هذا بأمر الله ونهيه ، ووعدده ووعيدة ، وندعو من رأى فيه خطأ ان يذكرنا به قولاً أو كتابة ، مبيناً ذلك بالدليل والبرهان ، لا بقول فلان ورأى فلان ، مع أدب العبارة ، والا كتفاء منها بقدر الحاجة ، ونحن ننشر ان شاء الله تعالى كل ما يكتب اليانا ، سواء كان لنا أو علينا ، اذا التزم الكاتب ما شرطنا ، ثم نبين ما عندنا فيه من قبول وإذعان ، أو رد أدبي مؤيد بالبرهان ، وليعلم كل عاقل منصف أن من يخطئنا ولا يكتب اليانا ، فهو لا ثقة بعلمه ولا بدينه ولا بما يقوله فينا ، وانه حاسد مقاتب ، أو مدّع كذاب ، والى الله المرجع والمآب ، وهو سرير الحساب منشئ المنار ومحرره محمد رشيد رضا الحسيني

٣٠ مدارج السالكين . الشرك الأكبر وصفات أهله (المنار - ج ١ م ١٧)



﴿ كتاب مدارج السالكين . بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

هذا الكتاب للإمام الحافظ المحقق ابن قيم الجوزية ، شرح فيه كتاب (منازل السائرین) في التصوف لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي شرحاً بين فيه غوامضه ، وفصل بين ما وافق الكتاب والسنة وما يخالفهما منه ، فهو أفضل كتب التصوف وأنفعها ، وهو يطبع الآن في مطبعة المنار ، وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الأول منه ، وقد رأينا أن ننشر هذا الفصل منه تمجيلاً بالفائدة لقراء المنار ، ولشدة الحاجة إليه . قال المصنف رحمه الله تعالى في سياق بيان أنواع الكفر :

﴿ فصل ﴾

وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر . فالأكبر لا يفرقه الله إلا بالتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله . وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين . ولهذا قالوا لا إلهتهم في النار (تالله أن كنا في ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين) مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه ، وإن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت . وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله . وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده ، و يغضبون لانتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وإذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث إذا حرد ، وإذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ، بل إذا قام المنتهك لها بطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنتكر له قلوبهم . وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة ، ونرى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه أن أقام وإن قعد وإن عمر وإن مرض وإن استوحى (١) فذكر إلهه ومعبوده من دون الله

(١) كتب في هامش نسختنا « لعله وإن استوحش » وفي النسخة الثالثة . « وإن استوى » أي جالسا أو راكبا أو قائما

(المنار-ج ١٧) حقيقة الشفاعة والمنفي والمثبت منها ولن تكون ٣١

هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويؤمن أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده ووسيلته إليه — وهكذا كان عباد الأصنام سواء — وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم ، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذوها (١) من البشر. قال الله تعالى هاكيا عن أسلاف هؤلاء المشركين (والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون) ثم شهد عليهم بالكفر والكذب وأخبر أنه لا يهديهم فقال (٢) (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) فهذه حال من اتخذ من دون الله وليا يزعم انه يقربه الى الله، وما أعز من يخلص من هذا ؟ بل ما أعز من لا يعادي من انكره ! والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله . وهذا عين الشرك. وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا لمن أذن الله أن يشفع فيه ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعا ، فانه يأذن سبحانه لمن شاء في الشفاعة لم حيث لم يتخذوهم شفعا من دونه ، فيكون أسعد الناس بشفاعة من يأذن الله به صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن أذنه لمن وّحده ، والتي نفاها الله (٣) الشفاعة الشريكة التي في قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعا ، فيما ملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون . فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة ... وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال ... « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله الا الله خالصا من قلبه » كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعة تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين ان الشفاعة تنال بالتخاذل شفعا وعبادتهم وموالاهم من دون الله ، فقلب النبي

(١) وفي نسخة « اتخذها » (٢) هذه الجملة بين طرفي الآية ساقطة من نسختنا

{٣} المنار : نفى الله الشفاعة نفيا مطلقا ومقيدا ، فالمطلق كقوله { اتفقوا بما رزقاكم من قبل أن ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة } والمقيد كقوله { ما للظالمين من شفيع ولا حم يبلّغ } ومنها ما أشار إليه المصنف

٣٢ تسوية الله بالوسطاء اليه في المحبة والموالاته والدفاع (المنار-ج ١ م ١٧)

صلى الله عليه وسلم لم يفي زعمهم بالكاذب ، وأخبر أن سبب انشغاله بتجريد التوحيد ، فينشد يأذن الله للشافع ان يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه وليا أو شفيعا انه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله لا يشفع عنده احد الا بأذنه ، ولا يأذن في انشغاله الا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول (من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه ؟) وفي الفصل الثاني (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وبقي فصل ثالث ، وهو انه لا يرضى من اقول والعمل الاتوحيدي واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العاتية : كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرين : ماذا كنتم تعبدون ؟ (١) وماذا أجبتم المرسلين ؟ فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعها وعقلها : لا شفاعة الا بأذنه ، ولا يأذن الا لمن رضي قوله وعمله ، ولا يرضى من اقول والعمل الاتوحيدي واتباع رسوله (٢) قاله تعالى : لا يغفر شرك العاديين به غيره كما قال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وأصح القولين انهم يعدلون به غيره في العبادة والموالاته والمحبة كما في الآية الاخرى (تالله ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم رب العالمين) وكما في آية البقرة (يحبونهم كحب الله)

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول : لا نجبهم كحب الله ولا نسويهم بالله . ثم يفض لهم ولحرمتهم اذا انتهكت أعظم مما يفضبه الله ، ويستبشرون بذكرهم ويتبشش به (٣) سيما اذا ذكر عنهم ما ليس فيهم من اغاثة الالهفات ، وكشف الكربات ، وقضاء الحاجات ، وانهم باب بين الله وبين عباده . ترى المشرك يفرح ويسر ويحمن قلبه ويهيج منه اواجج التمتع والمضوع لهم والموالاته ، واذا ذكرت له الله وحده وجردت توحيدة ، لحقته وحشة وضيق وخرج (٤)

(١) كتب في هامش نسختنا هنا « تعدلون » (٢) وفي نسخة « رسوله » (٣) يقال تبشش به اذا آتاه وواصله وفي نسخة « ويستأنس » بدل « ويتبشش » (٤) فات المصنف ان يستشهد هنا بقوله تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) ولا فرق بين المشرك الذي لا يؤمن بالآخرة البتة ، والمشرك الذي يؤمن بها على غير الوجه الذي بينه الرسول (ص)

(المنار - ج ١ م ١٧) تسوية الله بالوسطاء اليه في المحبة والموالاتة والدفاع ٢٣

ورماك بتقص الإلهية (١) التي له وربما عاداك . رأينا والله منهم هذا عيانا، ورمونا بعداوتهم وبعوا لنا الفوائل (٢) والله مخزبهم (٣) في الدنيا والآخرة ، ولم تكن حجتهم الا ان قالوا كما قال اخوانهم : عاب آلهتنا . فقال هؤلاء تنقصتم مشايخنا وأبواب حوائجنا الى الله . وهكذا قال النصاري للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال لهم : ان المسيح عبد (٤) ، قالوا : تنقصت المسيح وعبته . وهكذا قال أشباه المشركين لمن منهم اتخذ القبور أو ثانا تعبد ومساجد ، وأمر بزيارتها على الوجه الذي اذن الله فيه ورسوله ، قالوا : تنقصت أصحابها . فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم حتى كأنهم قد تواصلوا به و (من يهدي الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) وقد قطع تعالى الاسباب التي تعاقبها المشركون جميعها قطعا يعلم من تأمله وعرفه ان من اتخذ من دون الله وليا أو شفعيا فهو (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهم من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع . والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكا للمالك ، فإن لم يكن شريكا له كان معينا له وظهيرا ، فإن لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفعيا عنده . فنفي سبحانه المراتب الأربع نفيا متربيا متقللا (٥) من الأعلى الى مادونه (٦) فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، واثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بأذنه ، فكفى بهذه الآية نورا وبرهانا ونجاة وتجييدا للتوحيد وقطعا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها

(١) وفي نسخة « وماك باتقص الآلهة » الخ (٢) يقول مصحح الكتاب : نحمد الله ان كان لنا في المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله أسوة ، فقد رأينا ما رأى وابتلينا بما ابتلي {٣} وفي نسخة « يحزبهم » (٤) وفي نسخة « عبد الله » (٥) وفي نسخة صرتا متقللا (٦) وفي نسخة الأدنى

(المجد السابع عشر)

(٥)

(المنار - ج ١)

٣٤ اسلام اللورد هدي-محاسن الاسلام التي هدته اليه (المنار-ج ١ م ١٧)

ونظائرهما ولكن اكثر الناس لا يشمر (١) بدخول الواقع تحتهم وتضمنه له ، وبظنه في نوع ، وقوم قد دخلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن . ولعمري الله ان كان اولئك قد خلوا فقه ودرهم من هو مثلهم - أو شر منهم أو دونهم . وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، (٢) وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك - وما عابه القرآن وذمه ، وقم فيه واقره ، ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذي كان عليه اهل الجاهلية أو نظيره ، أو شر منه (٣) أو دونه ، فينقض (٤) بذلك عرى الاسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ، ويدفع بتجريد متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان اه

اسلام اللورد هدي

وما قاله وكتبه في سببه

خاضت جرائد العالم في اسلام « اللورد هدي » الانكليزي فكتب بعضها ما نب عليه كما هو على سبيل الخبر ، وزعم بعضهم ان اسلامه اسلام سياسي ليئيل المسلمين في مجلس اللوردات ! واني بمض المتصبيين من النصارى الا ان يشوب الخبر بشوائب التلبيس وايهام الفارسي ان اللورد لا يزال نصرانيا يؤمن بالثالوث ويجمع بين الضدين أو النقيضين : التوحيد والتثليث . وكأن هذا التلبيس والايهام قد استنبط من كلمة عزيت الى اللورد . واتنا ننشر ما نقلته جريدة مسيحية انكليزية عن اللورد وما كتبه هو عن اسلامه فقول :

جاء في جريدة الديلي ميل الصادرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ تحت عنوان (اسلام اللورد هدي) ما يأتي :

اللورد هدي هو البارون الخامس في بيته (طائفة) وقد ارتقى الى هذه الرتبة

(١) وفي نسخة لا يشعرون (٢) وفي نسخة من لم يعرف الجاهلية (٣) وفي نسخة أو أسوأ (٤) وفي نسخة فينقض . ولعله الاصل الصحيح

(الشارح ١٧) رد اللورد هدلي على مستنكري اسلامه ودفاعه عن الاسلام ٣٥

في يناير الماضي بعد وفاة ابن عمه ، وقد اسلم هذا اللورد الآن وأعلن اسلامه في حفلة للجمعية الإسلامية بلندن ، وكان هو نفسه حاضرا في ولاية الجمعية السنوية قال في اجتماع البارحة « انني باعلان اسلامي الآن لم أحد مطلقا عما اعتقدته منذ عشرين سنة ، ولما دعيتي الجمعية الإسلامية لوليبتها سررت جدا لأنني من الذهاب اليهم واخبارهم بالتصاقي الشديد بدينهم . وأنا لم أهتم بعمل أي شيء لظهور نبذي للاقبي بالكنيسة الانكليزية التي نشأت في حججها ، كما أنني لم أحفل بالرسميات في إعلان إسلامي ، وان كان هو الدين الذي أتمسك به الآن

إن عدم تسامح المتمسكين بالنصرانية كان أكبر سبب في خروجي عن جامعتهم ، فأنك لا تسمع أحداً من المسلمين يذم أحداً من أتباع الأديان الأخرى كما تسمع ذلك من النصارى بعضهم في بعض ، فإن المسلمين وإن كان يحزنهم عدم اهداء الناس إلى دينهم إلا أنهم لا يحكمون على كل من خالفهم بالهلاك الابدي

إن طهارة الاسلام وسهولته وبعده عن الأهواء والمذاهب الكهنوتية ووضوح حجته كانت كل هذه الأشياء أكبر ما أثر في نفسي . وقد رأيت في المسلمين من الاهتمام بدينهم والاخلاص ما لم أر مثله بين النصارى ، فإن النصراني يحترم دينه عادة يوم الاحد حتى إذا ما مضى الاحد نسي دينه طول الأسبوع . وأما المسلم فبمكس ذلك ، يجب دينه دائما ، وسواء عنده أكان اليوم يوم الجمعة أو غيره ، ولا يفتر لحظة عن التفكير في كل عمل يكون فيه عبادة الله

وإنني كنت اعتقت الاسلام إلا أنني لازلت نصرانيا ، بمعنى أنني لازلت مؤمنا بالمسيح ومقبلا تعاليم المسيح ، فإن الاسلام يصدق بتعاليم جميع الأنبياء على حد سواء فلا يفرق بين موسى والمسيح ومحمد « ولكن أكثر الناس لا يملكون » اه كلام هدلي ثم قالت الجريدة المذكورة : إن اللورد (هدلي) هو مهندس . وفي المسابقة الرياضية التي جرت في كبريتج حاز قصب السبق في الملاكمة مثل المستر النسون وبين (Allanson Winn)

﴿ لماذا أسلمت ﴾

وجاء في جريدة الأبرزير الأسبوعية (The Observer) في عددها الصادر في ٢٣ نوفمبر الماضي تحت عنوان (لماذا أسلمت) بقلم اللورد هدلي (Headley) ما ترجمته حرفيا : -

٣٦ قول هادي في عقيدة الاسلام وحرية القرآن (المنار - ج ١ ص ١٧)

عقيدة الاسلام

أخذت صحف عديدة تخوض في ممتقدي الديني ، ويسرني أن أرى أن جميع الانتقادات التي وجهت إليّ لأن كانت بلهجة لطيفة ، وما كان ينتظر أن الخروج عما افه الناس واعتادوه لا يلفت الأنظار إليه ، وذلك مما يسرني . إني أحب مهني ومولع بالألعاب الرياضية ، ولم يكن لي في ذلك غرض لطلب الشهرة وبعد الصيت ، ولكن لو كان عملي في هذه الحالة سببا في جمل الناس كييري المدارك سمحاه فأنا في غاية الاستعداد لأن أتحمل بكل صبر أي نوع من الاساءة والاستهزاء

أناني في يوم كتاب من نصراني متمسك بدينه يقول لي فيه : إن الاسلام هو دين شهوات ، وإنه كان لئيمه عدة زوجات . فما أعجبها من فكرة عن الاسلام ! ! ولكنها هي الفكرة السائدة على عقول تسعة وتسعين من كل مائة بريطاني ، فانهم لا يتعبون أنفسهم في البحث عن حقائق دين يدين به مائة مليون من اخوانهم الخاضعين لهم . نبي العرب المقدس كان على الأخص حصورا عن الشهوات طاهرا ، فكان مخلصا لزواجه الوحيدة خديجة التي كانت أكبر منه بخمس عشرة سنة ، وكانت أول من آمنت ببعثته . وبعد موتها تزوج عائشة ثم تزوج أيضا عدة أرامل لاصحابه الذين قتلوا في الحرب لا لأنه كان له أدنى رغبة فيهن بل ليمولهن ويقوم بكفالتهم ويرفع مقامهن إلى منزلة ما كن يصلن إليها بغير ذلك . وكان عماله هذا ملتما مع بعده عن الأنانية ومع حياته الشريفة العالية . وكان من شدة زهده في هذه الحياة أنه ما كان يملك ما يكفيه من العيش

نحن البريطانيون تمودنا أن نفخر بحسنا للانصاف والعدل ، ولكن أي ظلم أعظم من أن نحكم - كما يفعل أكثرنا - بفساد الاسلام قبل أن نلم بشيء من عقائده ، بل قبل أن نفهم معنى كلمة اسلام ؟

القرآن والدعوة

من المحتمل أن بعض أصدقائي يتوهم أن المسلمين هم الذين أثروا في ، ولكن هذا الوهم لاحقيقة له ، فان اعتقاداتي الحاضرة ليست إلا نتيجة تفكير قضيت فيه عدة سنين . أما مذاكراتي الفعلية مع المتعلمين من المسلمين في موضوع الدين فلم تبدأ الا منذ أسابيع قليلة ، ولا حاجة بي إلى القول أنني ملئت سرورا حينما وجدت نظرياتي وتائجي متفقة تمام الاتفاق مع الدين الاسلامي . وأما صديقي الخوجة كمال الدين فلم

(المنار-ج ١٧م) انتقاد هدي على دعاة النصرانية . عقيدة أثناسيوس ٢٧

بحاول قط أنت يكون له في أقل تأثير، ولكنه كان حقيقة كقاموس حي يفسر ويترجم لي - مع الصبر - ما لم يتضح لي من آيات القرآن . وكان سلوكه هذا مسلك المبشر الاسلامي الحقيقي الذي لا يحاول إرغام سامعيه أو التأثير فيهم . فان الدخول في الاسلام يجب - كما يقول القرآن - أن يكون بإرادة الانسان الحرة وبرأيه الذاتي بدون أي وسيلة من وسائل الاكراه . وكذلك أراد عيسى أيضا حينما قال (صر ٦: ١١ وكل من لا يقبلكم ولا يسمع اسمكم فاخرجوه من هناك . . .)

لاني أعرف حوادث عديدة جدا لبعض البروتستانت المتحمسين الذين يظنون أنه يجب عليهم أن يزوروا بيوت الكاثوليك ليحولوهم إلى مذهبهم ، ومثل هذا التعدي الجارح قبيح طبعاً . وقد أدى في الاكثر الى إثارة الاحقاد التي نشأت عنها مشاحنات وجملة الدين يزدري . ولاني ليحزني أن أرى أن دعاة النصرانية قد سلكوا هذا الطريق عينه مع اخوانهم المسلمين ، ولا يمكنني أن أفهم كيف يريدون أن يدعوا الى النصرانية من هم في الحقيقة أفضل منهم نصرانية (أو قال نصارى أفضل منهم) لم أقل « نصارى أفضل منهم » جزافاً فان مافي الاسلام من الخير والتسامح وسعة المدارك أقرب إلى مادعا اليه المسيح من تلك العقائد الضيقة التي أخذت بها فرق النصارى المختلفة

عقيدة اثناسيوس (١)

أذكر مثلاً واحداً وهو عقيدة أثناسيوس التي تشرح الثالوث شرحاً في غاية التعقيد . في هذه العقيدة - وهي كبيرة الاهمية جداً وتنص على احدى العقائد الاساسية للكنائس المسيحية - ترى جلياً أنها عقيدة الجمهور وأنها إذا لم تأخذ بها نهلك هلاكاً أبدياً . ثم يقال لنا إنه « يجب علينا أن لا نفكر في الثالوث بغير ذلك » وبعبارة أخرى إن الآله الذي نصفه في لحظة بالرحمة والقُدرة ، نصفه في اللحظة الثانية بالظلم والقسوة ، وهو ما نتحاشى أن نصف بها أقدس البشر السفاكين ، فكأن الله تعالى القديم الذي فوق كل شيء يكون خاضعاً لما يذهب اليه الهالك المسكين (يريد الانسان) في أمر الثالوث . وهناك مثلاً آخر من أمثلة بعدهم عن الخير : أناني كتاب بمناسبة مبلي للاسلام يقول لي فيه كاتبه : لاني إن لم أومن بلاهوت المسيح فلا سبيل لي إلى الخلاص . أما مسألة ألوهية المسيح هذه فلم يظهر لي أنها تقرب في أهميتها من تلك المسألة الأخرى وهي : هل بلغ رسالة ربه للبشر ؟ فلو كان عندي الآن أي شك في هذه المسألة

(١) حاشية للمترجم : عاش هذا الرجل بين سنة ٢٩٦ - ٣٧٣ م

٣٨ جزم هديلي بأن في قومه مهتدون كثيرون يكتفونون اسلامهم (المنار - ج ١ م ١٧)

الاخيرة لضايقتني كثيرا ، ولكنني - والله الحمد - لا أشك فيها ، وأرجو أن يكون إيماني بالمسيح وبما أوحاه الله اليه ثابتا كإيمان أي مسلم أو أي نصراني به . وكما قلت من قبل مرارا إن الاسلام والنصرانية - التي أتى بها المسيح نفسه - هما توأمان لم يفرق بينهما الا الأهواء والاصطلاحات التي يحسن أن تنبذ ظهريا في هذه الأيام . يميل الناس الى الاتحاد حينما يطالبون بالأخذ بمقائيد جامدة لا تحمل التسامح ، وان كانوا - ولا شك - لفي شوق الى دين يذعن لحكم العقل كما يذعن للوجدان . من سمع بمسلم انقلب ملجدا ؟ يجوز أن يوجد أحوال قلائل كهذه ولكنني مع ذلك أشك في وجودها كل الشك

خوف الانتقاد

إنني أعتقد أنه يوجد ألوف من الرجال والنساء الذين يدينون بالاسلام في قلوبهم ، ولكن مخافة الاجماع وخوف الانتقاد العدائي والرغبة في اجتناب كل ضيق أو تغيير يحملهم على عدم الجهر بما في قلوبهم . قد ساءت الآن نفس هذا المسلك . على أي أعلم أن كثيرا من أصدقائي وأقربائي ينظرون اليّ كأني روح ضالة تستحق الدعاء لها ، مع أن عقيدتي الآن هي عين عقيدتي منذ عشرين سنة ، ولكن جهري بها هو الذي أفقدني حسن ظنهم بي . إن الخوف هو السبب في وجود أحوال لا تحصى من الشقاء والشر في هذا العالم ، ولو اتبع الناس الصراحة في القول لقل سوء التفاهم بينهم ، ولزاد احترامهم ، ولتقتبس هنا كلمة المستر (بلفور) الحكيم وهي قوله « لاناصح أضر من الفرع إلا اليأس » ولكن أفضل أن أقول في هذه الحالة « هناك ناصح أضر وأشد خطراً من الشك أو الكفر ألا وهو الخوف »

وحيث اني قد أثبت هنا بملخص بعض الأسباب التي حمتني على اعتناق الاسلام وقد بينت أني أعتبر نفسي بهذا العمل نصرانيا أكل بكثير مما كنت من قبل ، فلذا أرجو أن يقتدي بي غيري في ذلك ، فانه خير لاشك فيه . وفيه السعادة لكل من يرى أن عملي هذا ارتقاء لا يراد به أي عداة للنصرانية الصحيحة . اهـ

(المنار) في كلام أخينا اللورد هديلي كلمتان جديرتان بالاعتبار (احدهما) قوله :

ان الاسلام هو النصرانية التي كان عليها ودعا اليها المسيح عليه السلام . وهذا حق فان دين جميع رسل الله (عليهم السلام) واحد في اصوله وجوهره ، وانما كان بيان خاتمهم (محمد صلى الله عليه وسلم) أنهم وأكمل على سنة الارتقاء في الحياة ، وقد حفظه

(المنار - ج ١ م ١٧) رجاء ظهور نور الاسلام لجاهير الافرنج بعد ظهوره لا فرادهم ٣٩

الله من النحر بف والتبديل والزيادة والنقصان . وقد سبق لحكيمنا الكبير السيد جمال الدين الافقاني رحمه الله تعالى كلمة مثل كلمة اخينا اللورد هذلي . ذلك ان سائلا سألته عن سبب الدعوة الى المذهب (النيسري) المادي في الهند فقال : ان الذين أرادوا حل رابطة المسلمين في الهند دعوهم أولا الى النصرانية فلم تبحج دعوتهم لان الاسلام مسيحية وزيادة ، فانه يقرر الايمان بالمسيح وبما جاء به من التوحيد والفضائل ويبتل ما زاده النصراني في دينه من الخرافات ، - أي مع زيادة في المعارف الالهية والآداب والفضائل والهدي الكامل - فلما خابت هذه الدعوة رأوا ان يشككهم في الدين المطلق الخ ما قاله وقد ذكرناه بالمعنى . ولولا المصديات المذهبية ، والاحقاد السياسية ، وسوء حال مسامي هذه الازمنة وبمدهم عن حقيقة الديانة الاسلامية ، وجهل الافرنج بها وبلغتها العربية ، ثم هذا الحجاب الذي اسدته العلوم والاعمال المادية ، ومقت الدين الذي أنارت الخرافات الكينية ، وما كان قبل من قسوة السلطة البابوية ، لكان هؤلاء الافرنج أجدر الناس في هذا العصر بالاسلام ، دين العقل والعلم والحضارة والسلام ، الذي كشف ما غشي كتب الانبياء من الخرافات والأوهام ، ورفع امتيازات الاجناس والاصناف والاقوام . ودعا الناس كافة الى الاخاء والوحدة والاعتصام . ولا بد أن يحل حقه لهم بعد احقاب ان لم يكن بمداعوام ، وقد ظهرت بوادر ذلك بما يكتشفون في هذه الايام ، من غرائب آياته تعالى في الانفس والعقول والقوى والاجسام ، وقد قال في كتابه المجيد (سزيم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا لهم في صرية من لقاء ربهم ، ألا انه بكل شيء محيط)

وأما الكلمة الثانية من كتي (اللورد هذلي) فهي إخباره بأن كثيرا من قومه مسلمون ، أي قد ظهر لهم نور الاسلام ، فانتشعت به ظلمات الاوهام ، وتلك الظلمة الوثنية ، التي غشيت تعليم المسيح النورانية ، فعلموا أن دين محمد هو دين المسيح عليهما السلام ، ولكنه غير أديان الكنائس المنسوبة الى المسيح بين انهم مسلمون في باطنهم ولكنهم يخافون ان يظهر اسلامهم كما كان يخاف هو مدة عشرين سنة ، وانما يخافون ان يحتقرهم قومهم ، ويمتعض منهم أهلهم ، لأن تمصبتهم للدين والمذهب شديد جدا ، وان خفي هذا عن سفهاء المتفرجين منا الذين يزعمون ان جميع الافرنج مارقون من الدين . لانهم لميلهم الى الاتحاد لا يجذبون الا الى أهله ، وقد يحملون من الكلام عليه ما لا يراد به منه ، كما انهم لا فتانهم بالفسق يظنون ان جميع نساء الافرنج بغايا ، وانهم لاهم لهم من حياتهم

٤٠ اسلام كثير من الناس في الباطن (الماراج ١٧م)

ولا اشتغالهم الا بالشهوات البهيمية ، وسبب ذلك انهم لا يبحثون الا عن ذلك . ولو كان هم الذين يذهبون الى أوربة منهم موجهها الى علم من العلوم أو فن من الفنون أو صناعة من الصناعات ، لبدا لهم من اهتمام الافرنج به ما يحملهم على الظن بأنه لا هم لهم في غيره . على ان في الافرنج من يهتم بافساد دين الشرقي لافساد جامسته التي ينتمى بها هذا واما كنا منذ ميزنا وعقلنا نسمع من أهلنا وأصحابنا أن كثيرا من نصارى بلادنا يوقنون بحقية الاسلام ولا يتجرؤون على اظهار ذلك لقومهم ، ومنهم من يدخل في الاسلام ويؤدي فرائضه كلها أو بعضها في الخفاء ، حتى اتفق ذلك لبعض رؤساء الاديان ، وأخبرنا والذي رحمه الله تعالى أنه عاد فلانا القائمقام في أحد أقضية جبل لبنان في مرض موته - وكان صديقا له - فخلاه به فأشهره على نفسه أنه مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله . وأذكر أنني رأيت ذلك الرجل وكنت طالب علم فسألني عن بعض الاحاديث النبوية وكان يذكر النبي (ص) بتعظيم فوق المعتاد في مجاملة أدباء النصارى للمسلمين ، فحملت ذلك على المبالغة في المجاملة واني أعرف افراداً من فضلاء النصارى المستقلين يودون لو كان في البلاد حرية دينية يمدحهم بها أهلهم اذا هم أسلموا ، منهم من يود لو كان مسلماً اعتقاداً منه بأفضلية الاسلام ورجحانه على جميع الاديان ، ومنهم من يود ذلك لفرض سياسي اجتماعي وهو التمكن من التأثير في اصلاح بلاده التي يحزم بأنها لا تصالح الا اذا صلح المسلمون وجاروا الامم القوية في اسباب العزة والحضارة . وهذا الصنف كثير جدا . ولو كان للاسلام حكومة تقيم بنيانه ، وتنفذ أحكامه ، وتحمل الامة على فضائله ، وتظهر للناس حقيقة عدله وسماحته ، لرأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ، ولكن رؤساء المسلمين هم أشد تنفيرا عن الاسلام من دعاة الاديان الاخرى ورؤسائها ، ومن كل أحد . وما هذه الاعوارض لاتدوم ، اذ وعد الله تعالى بان يظهره على الدين كله وكان الله قويا عزيزا

(المنار ج ١ م ١٧) المجلد والتعصب . كلام الغزالي في ذلك ٤١

تاريخ الجهمية والمعتزلة^{١)}

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب
(قال الامام الغزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي
علم الكلام — فقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
الصالح لا غير

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها
وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم .
واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً ، فقلما ينفع معه الكلام ،
فانك ان اخمته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان
عند غيره جواباً ما ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة .
واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان
يشد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب
سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم
يياثون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار ،
فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر دواعيهم على
طاب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا
من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لافي معرض التعصب
والتحقير ، لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ، ولا
يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب

(*) تابع لما نشر في ج ١٢ م ١٦ ص ٩١٣

(المجلد السابع عشر)

(٦)

(المنار ج ١)

٤٢ الجدل والتعصب كلام الغزالي في ذلك (المنار - ج ١ م ١٧)

عادتهم وآلتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اهـ

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تنبت دواعيهم ، ويشدد حرصهم على الاصرار عليه (قال) ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يشور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللفظ في اسرع زمان ، الا اذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ، ويمرّك بالبيان ان الحق مع خصمك ؟ لكره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ، وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اهـ

وقال العلامة المقبل في العلم الشاخص : واعلم ان الخلاف والتعصب والتحزب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحل دماءهم واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرها كالعديم بسد باب الاجتهاد اهـ

(وقال ايضا) ثم ترتب على الافتراق تقويم كل لعمود الشقاق ، وصار كل منهم انما يتزبى من مال اليه من الملوك على خصمه اهـ وبالجملة فن اعظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ،

(المنار - ج ١ م ١٧) الجدل والتعب . كلام الغزالي في ذلك ٤٣

بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى أصبح يفيض القريب قربه اذا وجده يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شنعاء ولو اقام على صحة رأيه مئين من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبلغا دفع به ان يحقن على مخالفه ، ويتحين الفرص للايقاع به ، حتى اذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت زلة - ولا معصوم الا المعصوم - رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه ، وملاً الأرض والسماء صراخا بتشهيره ، غير مبال بما حظره الشرع مما يولد البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويج مثل هذه الخطة الشائنة لفرقهم في بحار الجهل ، وانما يلام قادة الافكار على احتدائهم هذا الحدو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا صخب هؤلاء الرهط ، وبثهم هذه الالقاب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نعم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل خطأ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب التوقي منه هو ان يتشاحن قادة العقول ويتطاحنوا ويتبغضوا لما لا يصح ان يكون سببا معقولا ، وان يثب كل على مخالفه وثبة الغادر المستقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر ممزق ، فيقتفي أثرهم مقلدهم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزابا متنافرة ، بشؤم انتمصب الذميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب والارزاء ، فمن الواجب العمل على ملاشاة الشحناء والشقاق ، والقيام بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق

٤٤ حذر الأئمة المحققين تكفير المسلمين وتقسيمها (المنار-ج ١ ص ١٧)

(١٣) حذر الأئمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق

من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية ، رمي بعضها بعضا بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة اليه ، فالجتهده منهم وإن اخطأ مأجور (وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية) في كتابه موافقة صريح العقول ، لصحيح المنقول^(١) عن الامام الرازي (في نهاية العقول) في مسألة التكفير ماثاله : « قال الشيخ ابو الحسن الاشعري في اول كتاب (مقالات الاسلاميين) : اختلف المسلمون بعد نبينهم في اشياء ضلل فيها بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين ، الا ان الاسلام يجمعهم فيجمعهم . فهذا مذهبه ، وعليه اكثر الاصحاب ، ومن الاصحاب من كفر المخالفين » واما الفقهاء ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أرد شهادة اهل الاهواء الا الخطائية ،^(٢) فانهم يمتقدون حل الكذب . واما ابو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر احدا من اهل القبلة . وحكى ابو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك .

« واما المعتزلة ، فالذين كانوا قبل ابي الحسين تحامقوا وكفروا

{ ١ } جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الاميرية على حاشية منهاج السنة (٢) فرقة من غلاة الشيعة منسوبة الى ابي الخطاب محمد بن مقلص كان قبحه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مرارا لفساد عقيدته وخبئه وكذبه عليه وقد تبرا الصادق عليه السلام منه ، ومن اراد الوقوف على اخبار ابي الخطاب فليرجع الى كتاب رجال الشيعة للسكشي فقد اسهب في شأنه في عدة اوراق اه

(المنار - ج ١٧) تحقيق الرازي وابن تيمية مسألة تكفير الفرق ٤٥

اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم بخالفهم من اصحابنا ومن المعتزلة، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من يكفرني ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه والا فلا »

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لا نكفر احدا من اهل القبلة والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله تعالى هل هو موجود لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متحيز ، وهل هو في مكان وجهة ، وهل هو مرئي ام لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والاول باطل ، اذ لو كانت معرفة هذه الاصول من الدين ، لكان الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجري حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي الامتناع من تكفير اهل القبلة » اهـ

ثم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : « والاصل في هذا الباب ان الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ، فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا وجب اثباته وان نفي شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع

٤٦ إنما الكفر بتكذيب الرسول دون مخالفة علم الكلام (المنار - ج ١ م ١٧)

كان مذموماً كاسم الكافر والمنافق والملاحد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محموداً كاسم المؤمن والصدّيق ونحو ذلك »

«وإما الالفاظ التي ليس لها أصل في الشرع ، فذلك لا يجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها ، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب كالفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له أن يكفر بخالفه إن لم يكن قوله مما يبين الشرع أنه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأً في العقل يكون كفراً في الشرع ، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من أهل الكلام : أن أصول الدين التي يكفر بخالفها هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، وإما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشريعات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة والجهمية ومن سلك سبيلهم كتابع صاحب الإرشاد وأمثالهم فيقال لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : أحدهما أن أصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني أن المخالف لها كافر ، وكل من القدمتين وإن كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك أن ما لا يعرف إلا بالعقل لا يعلم أن مخالفه كافر الكفر الشرعي ، فإنه ليس في الشرع أن من خالف ما لا يعلم إلا بالعقل يكفر ، وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به ، أو الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقته ، مثل كفر فرعون واليهود

(المنار - ج ١ م ١٧) القاعدة في الكفر والايان . تحامى أهل السنة التكفير ٤٧

ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تطبيق الكفر بما يتعلق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يعتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعا بأرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه ، وهذا حال من كفر الناس بما أثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا وتجسيما واثباتا لحلول الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية والمعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها ، اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفصيل في هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحموه لانهم تجمعهم معه اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رحماء بينهم » فالؤمنون مهما اختلف اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يتراحمون ، يتآلفون ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

(١٤) بيان انه لا تضليل ، لمن اصره اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولا اننا لم نرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ، ولا مناقشتهم ، لان لذلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طويل الذيل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودوّن علم الكلام ، وانما اردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا على جل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وقر في قلوب كثير من الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيف ، تقليداً لمن ينبزم بذلك من حشوية المتفهبين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا وكان القائمون بمذهب المعتزلة خلفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاةهم وعدة من علمائهم ؟ وهم يحتجون لما يدعون ، ويبرهنون على ما يذهبون ، لاجرم انهم - وان اخطأوا - لمجتهدون

ومما يدل على ان هذا العقد بلغ تمكن صحته من نفوسهم متساه من اليقين حملهم الخلفاء على اكرامه الناس عليه ابتغاء نجاحهم - بزعمهم - بتصحيح عقيدتهم على ما يرون ، وجلي ان كل من استدل على ما يراه ، واحتج على دعواه ، فقد آذن في اجتهاده فيه ، وتحرى الحق فيما يقصده ويبيغ ، فقصارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته ، ان يكون مجتهداً مخطئاً ، وهو معذور بل مأجور ، اذ لم يرد الا الحق ، فن اين يسوغ بعد ذلك قرض الاعراض بالتضليل والتفسيق ، وتثوير المنبوز على المقابلة بالمثل بل الامثال ، والخروج بالاقتداع عن آداب المناظرة والجدال

ان نبر الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن
النظر في ادلة كل منها ، لتزن المقبول منها بمعياره ، والمردود بمقداره ، لأنها
حاولت الضغط على الافكار ، وحرمانها من حرية البحث والنظر والتأمل ،
لتحملها على رأي واحد ، ومذهب منفرد ، وذلك ما كان ولن يكون .
ان اختلاف الآراء لا يدعو بطبيعته الى الحفائظ والاضغان ، وغرس
الاحقاد والشنآن ، ولكن اكثر الفرق استولت على مناظريها الضغائن ،
فذهبت بهم مذهب التشفي والانتقام ، هذه بالنز بالالقاء بالسوءى ،
وتلك بها او بسلطتها الجائرة ، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب
من عجب امر التناز ، ان الاغراق فيه قد يغري خلي الذهن
بالبحث عن المنبوز والتنقيب عنه ، فيحمله على التأمل في مداركه ، والتبصر
في مآخذه ، فربما انضم اليه وشايعه تقليدا أو نظرا واستدلالا
فالمعاملون على فئة قد يحببون فيها من حيث يريدون التنفير منها ،
ويجذبون اليها مما يأملون به الإبعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :
دع عنك لومي فان اللوم اغراء

هؤلاء المتعاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التكفير ،
وفاتهم ان هذا لا يفي من البرهان ، ولا يجزئ من الحق شيئا ، بل قد
يكون من اعظم امانى الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما
يكون قد بلغ اشده واستوي ، ووصل الى اعماق الرسوخ ورسا .
ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة والرضوان رميه
بالكفر (وما أسهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الاشعري ، اتدب لتأليف

• اطراح أقوال العلماء بعضهم ببعض والتماس الحكمة (المار-ج ١م ١٧)

كتاب يهدي الى حقيقة الكفر والزندقة ، سماه « فيصل التفرقة » ، بين الاسلام والزندقة ، قال في خطبته : فهوّن ايها الاخ المشفق على نفسك ، لا يضيق به صدرك ، وقلّ من غربك قليلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جملا ، واستحقر من لا يُحمد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف (١) ،

ونقل الامام الغزالي ايضا في المستصفى ان عليا كرم الله وجهه استأذنه قضائه في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج وغيرهم اوردها ، فامرهم بقبولها كما كان قبل الحرب ، لانهم حاربوا على تأويل ، وفي رد شهادتهم تعصب وتجديد خلاف اه فانظر كيف تسامح مع أهل التأويل من المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح بعد هذا النز بالتفسيق أو التضييل ؟ حاشا وكلا ! وهذا لمن عرف الرجال بالحق ، لا الحق بالرجال ، والله المستعان

(١٥) ماوصى به الأئمة من اطراح اقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن التماس الحكمة ايما وجدت

روى الامام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه (جامع العلم وفضله) في باب حكم قول العلماء بعضهم في بعض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : استمعوا علم العلماء ، ولا تصدقوا بعضهم على بعض . وعنه رضي الله عنه قال : خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض

(١) يشير رحمه الله الى ان ذلك صار وفقا على اخبار العلماء واعلام الجهابذة الحكماء ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبلة الى الآن

وعن مالك بن دينار قال : يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء

الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال سمعت أبي يقول : العلماء كانوا فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم الفتيمة ، واذا لقي من هو مثله ذاكره ، واذا لقي من هو دونه لم يزه عليه ، حتى كان هذا الزمان ، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان ينقطع منه ، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه ، ولا يذاكر من هو مثله ، ويزهى على من هو دونه ، فهلك الناس

(قال الامام ابن عبد البر) : لقد تجاوز الناس الحد في الفتيمة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون الخاصة ولا بذم الجهال دون العلماء ، وهذا كله يحمل عليه الجهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ، وعلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكبائر ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ، وشره اقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

(وقال الذهبي) في ميزان الاعتدال - في ترجمة أبي نعيم أحمد الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده (قال الذهبي) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان . ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما اذا لاح لك انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينبو منه الا من عصم الله (قال) وما علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء والصديقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اهـ

قال العلامة المقبلي : واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لأنه يزعمه ديناً ، ويمرن عليه فيغير نفسه أنه دين ، وحظ الهوى في ذلك أوفى وأوفر ، نسأل الله العافية وإن يجمعنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال التي ينال بها العلم ، عن علي كرم الله وجهه قال : العلم ضالة المؤمن نخذه ولو من ايدي المشركين ، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه كرم الله وجهه قال : الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط

وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال : انك لا تعرف خطأ مظلوك حتى تجالس غيره ، وعن علي رضي الله عنه قال : ان الناس ابناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبين اقداركم . (قال ابن عبد البر) : ان قول علي بن ابي طالب « قيمة كل امرئ ما يحسنه » لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا : ليس كلمة احض على طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ما نرك الاول للآخر شيئاً) قال ابن عبد البر : قول علي رضي الله عنه « قيمة كل امرء ما يحسن » من الكلام المعجب الخطير ، وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به ، وكلفنا بحسنه ، فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن احمد وهو قوله :

لا يكون السريّ مثل الدنيّ * لا ولا ذو الذكاء مثل الغبيّ
لا يكون الألدّ ذو المقول المر (م) هفّ عند القياس مثل العبيّ
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) في قضاء من الامام عليّ

وقال غيره :

يلوم على أن رحت للعلم طالبا اجمع من عند الرواة فنونه
فيا لاثمي دعني اغالي بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وقال ابو العباس الناشي :

تأمل بعينيك هذا الانا م فكن بمض من صانه عقله
خفية كل فتى فضله وقيمة كل امرئ نبذه
فلا تتكل في طلاب الملا على نسب ثابت أصله
فما من فتى زانه قوله بشيء يخالفه فمله
ومما ينسب لعلي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال أ كفاء ابوهم آدم والأُم حواء
وانما امهات الناس اوعية مستودعات وللحساب آباء
فان يكن لهم من اصاهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
وان اتيت بفخر من ذوي نسب فان نسبتنا جود وعلواء
مالفضل إلا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدي ادلاء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء
فقم بعلم ولا تبغ به بدلا فالناس موتى واهل العلم احياء

وقد ورد في هذا الباب ما رواه الامام مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزل الناس منازلهم : نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم) في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

٥٤ تعريف البدعة وتحقيق مسألة البدع - من كتاب الاعتصام (المنار - ج ١ ص ١٧)

الباب الأول من كتاب الاعتصام^{*}

﴿ في تعريف البدع وبيان معناها وما اشتق منه لفظا ﴾

وأصل مادة « بدع » الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى « بديع السموات والأرض » أي مخترعها من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى « قل ما كنت بدعاً من الرسل » أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق. و: هذا امر بديع، يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن فكانه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه

ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة، فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هي البدعة، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة. فمن هذا المعنى سمي العمل الذي لا دليل عليه في الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه في اللغة حسبما يذكر بحول الله

ثبت في علم الأصول أن الأحكام المتعلقة بأفعال العباد وأقوالهم ثلاثة: حكم يقتضيه معنى الأمر كان للإيجاب أو الندب، وحكم يقتضيه معنى النهي كان للكره أو التحريم، وحكم يقتضيه معنى التخيير وهو الإباحة. فأفعال العباد وأقوالهم لا تعدو هذه الأقسام الثلاثة: مطلوب فعله، ومطلوب تركه، وما أذن في فعله وتركه. والمطلوب تركه لم يطلب

(* الكتاب للإمام أبي إسحاق الشاطبي الأندلسي صاحب كتاب (الموافقات) في أصول الشريعة وحكمها وهو يطبع الآن بطبعة المنار على نفقة دار الكتب الخديوية التابعة لمظاهرة المعارف المصرية، فنشر علماء الإسلام بذلك، ونشر لهم هذا النموذج منه

(المنار - ج ١ م ١٧) الابتداع وحدث البدعة

الا لكونه مخالفاً للقسمين الآخرين ، لكنه على ضربين (أحدهما) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة خاصة مع مجرد النظر عن غير ذلك ، وهو ان كان محرماً سُمي فعله معصية وإثمًا ، وسمي فاعله عاصياً وآثماً ، وإلا لم يسم بذلك ، ودخل في حكم العفو حسبما هو مبين في غير هذا الموضع . ولا يسمي بحسب الفعل جائزاً ولا مباحاً لان الجمع بين الجواز والنهي جمع بين متنافيين (والثاني) أن يطلب تركه وينهى عنه لكونه مخالفة لظاهر التشريع من جهة ضرب الحدود وتعيين الكيفيات والتزام الهيئات المعنية أو الازمنة المعنية مع الدوام ونحو ذلك .

وهذا هو الابتداع والبدعة ويسمى فاعله مبتدعاً — فالبدعة إذن عبارة عن « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات . وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » . ولا بد من بيان ألفاظ هذا الحد : فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد ، وهو مارسم للسلوك عليه . وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع واليه يضيفها صاحبها ، وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كاحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم .

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم — فمنها ماله أصل في الشريعة . ومنها ما ليس له أصل فيها . — خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع ، أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع ، اذ

٥٦ تحقيق البدع وكون العلوم المدونة ليست منها (المنار- ج ١ م ١٧)

البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع . وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين ، كعلم النحو والتعريف ومفردات اللغة وأصول الدين ، وسائر العلوم الخادمة للشرعية . فانها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع ، إذ الأمر بأعراب القرآن منقول وعلوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة فحقيقتها إذاً أنها فقه التعبد بالالفاظ الشرعية الدالة على معانيها كيف تؤخذ وتؤدى

وأصول الفقه إنما معناها استقرار كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نصب عين وعند الطالب سهرلة التمس .

وكذلك أصول الدين وهو علم الكلام إنما حاصله تقرير الأدلة القرآن والسنة أو ما ينشأ عنها في التوحيد وما يتعلق به ، كما كان الفقه تقريراً لادلتها في الفروع العبادية . (فان قيل) . فان تصنيفها على ذلك الوجه مخترع . (فالجواب) : ان له أصلاً في الشرع ، ففي الحديث ما يدل عليه ، ولو سلم انه ليس في ذلك دليل على الخصوص فالشرع بجماته يدل على اعتباره ، وهو مستمد من قاعدة المصالح المرسلة ، وسيأتي بسطها بحول الله فلي القول بإثباتها أصلاً شرعياً لا إشكال في أن كل علم خادم للشرعية داخل تحت أدلته التي ليست بأخوذة من جزئي واحد . فليست ببدعة البتة وعلى القول بنفيها لا بد أن تكون تلك العلوم مبتدعات . وإذا دخلت في علم البدع كانت قبيحة لأن كل بدعة ضلالة من غير إشكال ، كما يأتي بيانه ان شاء الله

ويازم من ذلك ان يكون كتب المصحف وجمع القرآن قبيحا ، وهو

(المنار - ج ١ م ١٧) · علوم اللغة والشرع لا تسمى بدعة شرعية ٥٧

باطل باجماع ، فليس اذاً بدعة . ويلزم أن يكون له دليل شرعي ، وليس الا هذا النوع من الاستدلال ، وهو المأخوذ من جملة الشريعة واذا ثبت جزئي في المصالح المرسلة ، ثبت مطلق المصالح المرسلة . فعلى هذا لا ينبغي أن يسمى علم النحو أو غيره من علوم اللسان أو علم الاصول أو ما أشبه ذلك من العلوم الخادمة للشريعة بدعة أصلاً . ومن سباه بدعة فإما على المجاز كما سعى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلاً بمواقع السنة والبدعة . فلا يكون قول من قال ذلك معتداً به ولا معتمداً عليه .

وقوله في الحد « تضاهي الشرعية » يعني انها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك ، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة . منها وضع الحدود كالناذر للصيام قائماً لا يقعد ، ضاحياً لا يستظل . والاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقصر من المأكل والملبس على صنف دون صنف من غير علة .

ومنها التزام الكيفيات والهيآت المعينة ، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ، واتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عيداً ، وما أشبه ذلك . ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة ، كالإزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته ^(١)

(١) هذا هو الصواب ولا يغترن أحد بترويج الخطباء الجاهلين في ذلك ، ولا بالحديث الذي يذكرونه على منابرهم وهو « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ! ألا مسترزق فأرزقه ! ألا مبتلى فأعافيه ! ألا كذا =

(المنار - ج ١) (٨) (المجلد السابع عشر)

٥٨ مضاهاة الدّع للأمور المشروعة وتعليل المتدعين لها (المنار-ج ١ م ١٧)

وتم أوجه تضاهي بها البدعة الأمور المشروعة فلو كانت لاتضاهي الأمور المشروعة لم تكن بدعة لأنها تصير من باب الأفعال العادية وأيضاً فإن صاحب البدعة إنما يحتجها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، أو تكون هي مما تلبس عليه بالسنة ، إذ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع ، لأنه إذ ذاك لا يستجلب به في ذلك الابتداع نقماً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره إليه . ولذلك تجد المتدع ينتصر لبدعته بأمر تحيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير

فأنت ترى العرب الجاهلية في تغيير ملة إبراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجاً منهم ، كقولهم في أصل الإشرار (ما نعبدهم إلا ليُقَرَّبوا إلى الله زُلْفَى) وكترك الخمس الوقوف بعرفة لقولهم : لا نخرج من الحرم اعتداداً بحرمته . وطواف من طاف منهم بالبيت عرياناً قائلين . لا نطوف بثياب عصينا الله فيها . وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصبروه بالتوجيه كالشروع ، فما ظنك بمن عدَّ أو عدَّ نفسه من خواص أهل الملة ؟ فهم أخرى بذلك ، وهم الخطئون وظنهم الإصابتة . وإذا تبين هذا ظهر أن مضاهاة الأمور المشروعة ضرورة الأخذ في أجزاء الحد وقوله « يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى » هو تمام

معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها

= ألاكذا ، حتى يطلع الفجر » فإن هذا حديث واه أو موضوع رواه ابن ماجه وعبد الرزاق عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وقد قال فيه ابن معين والامام أحمد انه يضع الحديث . نقل ذلك محشي سنن ابن ماجه عن الزوائد . وواقفه الذهبي في الميزان في الامام أحمد ، وذكر عن ابن معين انه قال فيه : ليس حديثه بشيء . وقال النسائي « متروك »

(المنار-ج ١ م ١٧٢) البدع خاصة بالعبادات دون العادات ٥٩

وذلك أن أصل الدخول فيها بحث على الانقطاع إلى العبادة والترغيب في ذلك، لأن الله تعالى يقول: (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) فكان المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى، ولم يبين له أن ما وضعه الشارع فيه من القوانين والحدود كافٍ، فرأى من نفسه أنه لا بد لما أطلق الأمر فيه من قوانين منضبطة، وأحوال مرتبطة، مع ما يدخل النفوس من حب الظهور أو عدم مظهره، فدخلت في هذا الضبط شائبة البدعة.

وأيضاً فإن النفوس قد تملأ وتبأس من الدوام على العبادات المرتبة، فإذا جدد لها أمر لا تعده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء على الأمر الأول. ولذلك قالوا « لكل جديد لذة » بحكم هذا المعنى، كمن قال: « كما يحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، فكذلك يحدث لهم مرغبات في الخير بقدر ما حدث لهم من الفجور »

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: فيوشك قائل أن يقول ما هم بمبتغي فيتبعوني وقد قرأتك القرآن فلا يتبعني حتى أبتدع لهم غيره فأياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة^(١)

وقد تبين بهذا القيد أن البدع لا تدخل في العادات. فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهاى المشروع ولم يقصد به التمسك فقد خرج عن هذه التسمية، كالمغامر الملازمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة وقد رخصت مما يشبه فرض الزكوات ولم يكن إليها ضرورة.

وكذلك اتخاذ المناخل وغسل اليد بالأشنان وما أشبه ذلك من الأمور التي لم تكن قبل، فانها لا تسمى بدعاً على إحدى الطريقتين

(١) كذا في الأصل فليراجع الحديث وليضبط

٦٠ ادخال العادات في البدع بحسب القصد وهو توسع (المنار ج ١ ص ١٧)

وأما الحد على الطريقة الأخرى فقد تبين معناه إلا قوله: يقصد بها ما يقصد بالطريقة الشرعية. ومعناه أن الشريعة إنما جاءت لمصالح العباد في عاجلتهم وآجلتهم لتأثيرهم في الدارين على أكل وجوهها، فهو الذي يقصده المبتدع ببدعته. لأن البدعة إما أن تتعلق بالعادات أو العبادات، فإن تعلقت بالعادات فأما أراد بها أن يأتي تبعده على أبلغ ما يكون في زعمه ليفوز بأتم المراتب في الآخرة في ظنه. وإن تعلقت بالعادات فكذلك لأنه إنما وضعها لتأتي أمور دنياء على تمام المصلحة فيها. فمن يحمل المناخل في قسم البدع فظاهر أن التمتع عنده بلذة الدقيق المنخول أتم منه بغير المنخول وكذلك البنات المشيدة المختلفة، التمتع بها أبلغ منه بالحشوش والحرب. ومثله المصادرات في الأموال بالنسبة إلى أولى الأمر، وقد أباحت الشريعة التوسع في التصرفات، فيعد المبتدع هذا من ذلك.

وقد ظهر معنى البدعة وما هي في الشرع والحمد لله

فصل

وفي الحد أيضا معنى آخر مما ينظر فيه. وهو أن البدعة من حيث قيل فيها: أنها طريقة في الدين مخترعة — إلى آخره — يدخل في عموم لفظها البدعة التركية، كما يدخل فيه البدعة غير التركية، فقد يقع الابتداع بنفس الترك تحريما للمتروك أو غير تحريم، فإن الفعل مثلا قد يكون حلالا بالشرع فيحرمه الإنسان على نفسه أو يقصد تركه قصدا.

فهذا الترك إما أن يكون لأمر يعتبر مثله شرعا أولا، فإن كان لأمر يعتبر فلا حرج فيه، إذ معناه أنه ترك ما يجوز تركه أو ما

(المنار: ج ١ ص ١٧) اتباع المسلمين من من قبلهم في الشر فقط ٦١

يطلب بتركه^(١) كالذي يحرم على نفسه الطعام الفلاني من جهة أنه يضره في جسمه أو عقله أو دينه وما أشبه ذلك، فلا مانع هنا من الترك. بل إن قلنا بطلب التداوي للمريض فإن الترك هنا مطلوب، وإن قلنا بإباحة التداوي فالترك مباح. فهذا راجع إلى العزم على الحمية من المضرات. وأصله قوله عليه السلام «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج — إلى أن قال — ومن لم يستطع فعليه بالصوم»^(٢) الذي يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة فيصير إلى العنت.

وكذلك إذا ترك ما لا بأس به حذراً مما به البأس فذلك من أوصاف المتقين، وكترك المتشابه حذراً من الوقوع في الحرام واستبراء للدين والعرض وإن كان الترك لغير ذلك، فاما أن يكون تديناً أو لا. فإن لم يكن تديناً فالترك عابث بتحريمه الفعل أو بعزيمته على الترك. ولا يسمى هذا الترك بدعة إذ لا يدخل تحت لفظ الحد إلا على الطريقة الثانية القائلة:

(١) لم يظهر لنا معنى الباء فالظاهر أنها زائدة من الناسخ

(٢) تمة الحديث بعد كلمة الصوم «فانه له وجاء» فقوله «الذي يكسر من شهوة الشباب» اخ من كلام المصنف يبين به علة كون الصوم وجاء. وهو إضعاف الشهوة على رأي الجمهور. وهو لا يظهر إلا في الصوم الكثير مع التقشف والاكتفاء عند الفطر بقليل الطعام، وإلا فإن الصوم من أسباب الصحة وزيادة القوة، حتى في المعيشة المعتدلة: وحينئذ يكون وجه الشبه بين الوجاء الذي هو دق عروق خصتي الفحل المضعف أو المزيل لشهوته وبين الصوم هو كون الصوم سبب التقوى كما قال الله تعالى في تعليل فرضيته «لعلكم تتقون» فمن أكثر من الصوم وترك ما يشتهي من الطعام والشراب المباحين لوجه الله تعالى يستفيد فائدتين أحدهما ملكة مراقبة الله تعالى الذي يترك طعامه وشرابه لأجله، والثانية ملكة ترك الشهوات التي يحتاج إليها كل يوم فتقوى إرادته وعزمته، فيسهل عليه ترك سائر الشهوات ومنه غض بصره واحصان فرجه

ان البدعة تدخل في العادات. واما على الطريقة الأولى فلا يدخل. لكن هذا التارك يصير عاصيا بتركه أو باعتقاده التحريم فيما أحل الله وأما ان كان الترك تدينا فهو الابتداع في الدين على كلتا الطريقتين، اذ قد فرضنا الفعل جائزا شرعا فصار الترك المقصود معارضة للشارع في شرع التحليل. (١) وفي مثله نزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) فهي أولا عن تحريم الحلال. ثم جاءت الآية تشعر بأن ذلك اعتداء، وأن من اعتدى لا يحبه الله

وسأتي للآية تقرير ان شاء الله. لأن بعض الصحابة هم ان يحرم على نفسه النوم بالليل، وآخر الاكل بالنهار، وآخر إتيان النساء، وبعضهم هم بالاختصاص، مبالغة في ترك شأن النساء. وفي امثال ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رغب عن سنتي فليس مني » فاذا كل من منع نفسه من تناول ما احل الله من غير عذر شرعي فهو خارج عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم. والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه

(فان قيل) فتارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا هل يسمى مبتدعا أم لا؟ (فالجواب) أن التارك للمطلوبات على ضربين: (أحدهما) ان يتركها لغير التدين إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك من الدواعي (١) ان اهل الاستانة لا ياكلون لحم الحمام، فهو يعيش ويفرخ في مساجدهم ويوتهم ولا يأكل احد منه شيئا، بل يتخرجون من ذلك وينكرونه. والظاهر ان عامتهم يعتقدون ان أكله حرام، أفلا يجب في هذه الحال على العلماء مقاومة هذه البدعة التركية بالقول والفعل

النفسية . فهذا الضرب راجع الى المخالفة للامر . فان كان في واجب فمعصية ، وان كان في ندب فليس بمعصية اذا كان الترك جزئيا ، وان كان كليا فمعصية حسبما تبين في الأصول (والثاني) أن يتركها تدينا . فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدب بصد ما شرع الله . ومثاله اهل الإباحة القائلين بإسقاط التكليف اذا بلغ السالك عندهم المبلغ الذي حدّوه : فاذا قوله في الحد « طريقة مخترعة تضاهي الشرعية » يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها ، لان الطريقة الشرعية ايضا تنقسم الى ترك وغيره وسواء علينا قلنا إن الترك فعل أم قلنا انه نفي الفعل - على الطريقتين المذكورتين في أصول الفقه .

وكما يشمل الحد الترك يشمل أيضا ضد ذلك ، وهو ثلاثة أقسام : قسم الاعتقاد ، وقسم القول ، وقسم الفعل . فالجميع اربعة اقسام . وبالجملة فكل ما يتعلق به الخطاب الشرعي يتعلق به الابتداع . اهـ

تقرير المطبوعات الجديدة^{١٠}

كتاب الهدى الى دين المصطفى

الجزء الاول منه لمؤلفه ... النجفي في مدينة (سرمن وأى) بالمراق طبع بمطبعة المرفان طبعا نظيفا على ورق متوسط من ٣٩٢ بقطم المنار ثمنه ٢٠ قرشا ويباع في مكتبة المنار بمصر

كثر دماء النصرانية في هذه البلاد كما كثروا في كل بلد دخله النفوذ الغربي ، دخلوا القرى بدون اذن اهلها ، وجاسوا خلال الديار وائدين الفتنة والتفريق ، وقد كان المسلمون عامتهم وعلماءهم لا يحفلون بما يبشّه هؤلاء الدعاة بين المسلمين لسخافته وبداهة بطلانه ، وليس في هذه البلاد من اقله وزر آدم فيأتي هؤلاء الدئاب يجتسمي منه في حظيرتهم ، ولا من ضاق صدره بتوحيد الله عز وجل فيجبي هؤلاء

(كتب تقارير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

٦٤ كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار (المنار - ج ١ ص ١٧٠)

المعددين ليجد له عندهم متسماً في ثالثهم ، ولا من حصر صدره بعصمة الانبياء الهداة حتى يتحكك هؤلاء الكتبة لثأجوا صدره ويجرؤه على المعاصي بقصة نوح مع ولديه أو ابراهيم مع امرأته أو يهوذا مع كتنه أو داود مع امرأة قائده أو سليمان مع اصنام نسائه أو ابن يعقوب مع امرأة آبيه أو يعقوب مع ملاك ربه أو لوط مع بنته الخ بل ان المسلمين ليسوا بمحتاجين مسيحيهم الخيالي (وهو غير مسيح الله عليه السلام) الذي يدعي هؤلاء الصدوقيون انهم يعبدونه وينكرون سيرته الانجيلية ويرون عصمته عن السكر وعن غسل ارجل التلاميذ وعن طرد امه واخوته وإنكاره لها وعن البخل بهداية الكنعانية الى غير ذلك مما نراه في انجيلهم .

لا خوف من هذه التعاليم على عامة المسلمين فضلاً عن علمائهم، ولكن السكوت على باطلهم خيل اليهم انهم على حق فتفتنوا في طرق دعوتهم حتى انهم يصعدون بعض كراريسهم بالآيات القرآنية أو بخطب تضارع الخطب التي اصطلح بعض الخطباء الرسميين على تلاوتها يوم العيد وأيام الجمع الخ كل ذلك ليدخلوا الى قلوب المسلمين فيفسدوا عليهم ما بقي لهم من دينهم ، ويحلوا الروابط التي تربطهم بأمتهم . ولذلك قام العلماء في جميع الافطار برسولون شهب ردودهم فتخمد انقاس شياطين التفريق . واول من كتب في الرد عليهم في هذا العصر بعقل وبمحت وروية الشيخ رحمة الله الهندي ثم تبعه قوم آخرون هم عيال عليه في هذا الباب . ثم رأينا مثالا له في هذه الآونة من رسائل الدكتور صدقي وكتاب النجفي ، وهو هذا المؤلف الذي هو نتيجة بحث علمي وتمحيص المسائل وتحقيقتها

فيا الله العلامة النجفي فقد دحض مزاعم دعاة النصرانية بكتابه هذا وقذف بحقه على باطلهم فاذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون . وضع كتابه هذا ودأ على كتاب « مقالة في الاسلام » لسابل الانكليزي المترجم بالعربية وعلى الكتاب البذيء المسمى بالهداية الموضوع للرد على كتاب « اظهار الحق » وكتاب « السيف الحميدي » يهدم أركانها وقوض بنيانها بالادلة العقلية والنقلية ، بعبارة طليعة جليلة ، فيجدر بمن هني بالرد على هؤلاء المشاغبيين ان يطالع على هذا الكتاب

(كشف الاستار عما لحقوق الدول من الاسرار)

الجزء الاول بقلم صبحي اياظه طبع بمطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١ ص ١٢٥ بقطر
اذا رثته ٢٠ قرشا يطلب من مكتبة المنار بمصر

اسم الكتاب يدل على موضوعه وفيه فوائد جمة جاءت من طريق الاستطراد

﴿ في التربية والتعليم ﴾

تأليف محمد أمين . طبع بمطبعة التقدم بمصر على ورق جيد . ص ١١٤ بالقطع الصغير . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر
مواضيع الكتاب : بعد مقدمة بقلم أحمد بك لطفي السيد مدير الجريدة ،
(١) الشكوى ٢ تشخيص العلة ٣ وصف الدواء ثم الاطوار الثلاثة ، في البيت والمدرسة
والمجتمع ٤ التربية الحسية والعملية والاخلاقية ثم الخاتمة . والكتاب مجموعة مقالات
نشرت في الجريدة ثم طبعت على حدها غير مصدرة بالبسملة ولا الحمدلة ، على سنة
من يتفحصون من كل ما يربطهم بالامة الاسلامية من الشعائر والمقومات والمشخصات
مرشد المترجم الصغير (لطلبة الشهادة الابتدائية)

تأليف محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وعوض ابراهيم بك وكيل
المدرسة السعيدية . طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً ص ١٤٠ بالقطع الوسط . ثمنه
خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف ومكتبة المنار بمصر
وضعه مؤلفاه لطلبة الشهادة الابتدائية وتوخيا فيه تذليل عقبات الترجمة من العربية
الى الانكليزية وبالعكس وتسهيلها على التلميذ بشرح المفردات التي يهتدي اليها بسهولة ،
وقد اطلع عليه المستر استيفنز معلم الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . والكتاب
يفيد التلميذ علما بالشئون الاجتماعية بمواضيعه المفيدة
الاجوبة المسكتة

تأليف أحمد أفندي صابر من مستخدمي (نظارة الاوقاف) وقد طبع
الطبعة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر مع زيادات وتحسينات . ص ٢٥٢ بقطع رسالة
التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر وهو غني عن التعريف
غاية الانسان

كتاب في الفلسفة الادبية مفيد . وضعه الفيلسوف جافينون وترجمته وسيلة محمد
مترجمة « روح الاعتدال » وناهيك بها سلاسة وجودة . ص ١٦٠ بقطع سابقة .
طبع بمطبعة المعارف طبعا نظيفاً . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المعارف
ومكتبة المنار بمصر

﴿ارجوزة ابن المتمر﴾

طبعت في المطبعة الجملية بمصر سنة ١٣٣٠ على تقفة ابن منصور في ٢٤ ص بقطع
ورسالة التوحيد على ورق جيد ثمنها قرش صحيح واحد وتطلب من المكاتب المصرية
وموضوع الارجوزة تاريخ المتضد بالله المباسي ، وما هو بالتاريخ الذي يمتد به

نشوء الاجتماع (الجزء الاول منه)

تأليف بنيامين كد وتعريب محمد زكي صالح في طنطا . طبع بمطبعة الاخبار بمصر
سنة ١٩١٣ على ورق جيد . ص ١٣٥ بقطع «الاسلام والنصرانية» ثمنه خمسة قروش
ويطلب من مكتبة المنار بمصر

مواضيعه بعد مقدمة المترجم التي المت بموضوع الكتاب وآراء العلماء والجرائد
فيدهي: (١) الحاضر (٢) اسباب الارتقاء (٣) العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء (٤) اجلي
طبيعة في التاريخ الانساني {٥} وظيفة العقائد الدينية في نشوء الاجتماع .

والكتاب مفيد في موضوعه منه للعقل موقظ للقوة المفكرة . وارى ان استعير
لتقريبه كلمة الأستاذ «ويسمن» الالماني التي كتبها في مقدمة الترجمة الالمانية وهي :
«لا ارمي الى تحليل هذا الكتاب القذ بل اقول انه جدير بالنظر والاعتبار . . .
الحج » والمرجو ان يظهر المعرب الجزء الثاني منه وان يعتني بترجمته وتصحيفه ليسلم
من مثل الاغلاط التي في الجزء الاول

(كتاب آداب العرب)

تأليف ابراهيم بك العرب . طبعته نظارة المعارف على تقفها في المطبعة الاميرية
سنة ١٩١١ وقررت تدريسه في مدارسها الابتدائية وفي مدارس المعلمين والمعلمات
ويطلب من مخزن المعارف

الكتاب مجموعة مواظ منظومة على أسن الحيوان والطير على نمط كتاب
الصادق والباغم

(المطالعة الفصيحة لامهات اليوم والغد)

الجزء الاول منه تأليف الشيخ مهدي احمد خليل المدرس بمدرسة المعلمين في بولاق . المطبعة الاولى
منه سنة ١٣٣١ ص ٢٠٥ بقطع رسالة التوحيد . ثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر
الكتاب ادبي اجتماعي لغوي كبير الفائدة ولذلك قررت نظارة المعارف تدريسه
بجميع تلميذات مدارس البنات العالية والابتدائية والخصوصية

محاسن الطبيعة ومعجائب الكون

تأليف اللورد (افرى) ترجمة وديع البستاني . ص ٢٩٤ بالوسط طبع مطبعة المعارف وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار ومكتبة المعارف
البحاث الكتاب : عميد ، عالم الحيوان ، والنبات ، والحقول والحراج ، والماء ، والبحر ، ثم القبة الزرقاء . وهو يحول في هذه الابحاث جولة المفكر المتعقل المستبر .
واذا كان هذا الكتاب أسمى معاني واكثر دقة من سائر ما قرأنا من مؤلفات لورد
افرى التي عربها وديع البستاني فان ترجمته أصح وأسلم وأقل غلطاً من جميعها أيضاً

رواية جزيرة الذهب

مترجمة عن الالمانية بقلم ماري ابراهيم نجار ، طبع الجزآن الاول والثاني منها بمطبعة
جريدة الهدى في نيويورك على نفقتها فكانت ص ٢٥٤ بالقطع الوسط وموضوعها
تحويل الافكار عن عبادة الذهب وتوضيحية كل شيء في سبيل الحصول عليه الى فكرة
الانسانية الراقية . وما أجدر هذه المترجمة العاقلة الفاضلة ، باختيار هذه القصص
المفيدة النافعة .

مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة تصدر في بيروت تبحث في الحقوق والاقتصاد والاجتماع . سقتها عشرة
شهور شمسية تبتدئ من ايلول (سبتمبر) من كل سنة . الجزء منها ٣٢ ص . منشؤها
الحامي توفيق افندي الناطور المتخرج في مدرسة الحقوق في باريس ، ومدير تحريرها
الشيخ محمد منيب افندي الناطور من تلاميذ الازهر ومدرسة القضاء الشرعي
قيمة اشتراكها في البلاد العثمانية وريالان مجيديان وفي البلاد الاجنبية عشرة فرنكات
وان في سعة منشئها ومديرها وتوخيهما النفع لها ما يوجب الاقبال عليها
لما يختاران نشره فيها من العلوم والفوائد التي أصبحت في هذا العصر حاجة
من حاجات الامة ، فنحن نرجو لها الرواج والنجاح ، ونعده عنواناً لاستعداد
الامة للارتقاء . وقد فتحت باباً لادبيات اللغة العربية فضمت الى فوائدها العلمية
هذه الفائدة النفوية ويمكن الاشتراك فيها بواسطة مجلة المنار ومكتبته

الشيخ علي يوسف

٣

{ فصل في بقية الكلام على سياسته المصرية }

بما ان سياسة الشيخ في المؤيد كانت تدور في أول العهد على ثلاثة أقطاب (١) تأييد سلطة الأمير ونفوذه (٢) مقاومة نفوذ الاحتلال الانكليزي {٣} الاعتماد في هذه المقاومة على نفوذ الدولة العثمانية وحقوقها الرسمية في مصر . وكذا على نفوذ فرنسا ومصالحها السياسية فيها ، وانها بعد طول الاختبار وتغير الحوادث طرأ عليها بعض التغيير . ونزيد ذلك بياناً فنقول وان كررنا بعض المعاني :

انه بعد حادثة فشودة علم المترجم أن الاتكال أو الاعتماد على وعود أو عهود دولة أوربية لا يكون الا دون الاتكال على المواعيد العرقية ، وانه بعد اختبار السياسة العثمانية بالنفوس في اعماق الحوادث التي يشهدها أوربية ، وبقاء كبار رجالها في الاستانة ومصر وأوربية ، علم انه لا يتكل عليها في شيء ، وان الذي يبني عمله على الرجاء فيها قائم على شفا جرف ، اذ لا يؤمن خذلانها له في كل عمل ، فاكتمل من خدمة الدولة فيما يسمونه المسألة المصرية بالحفاظ على حقوقها الرسمية في مصر ، وجعل فرماناتها الرسمية لامراء مصر ركن استقلالها الركين ، الذي يصد به بعض ما ينحني من هجمات الاحتلال عليه . وأما فرنسا وسائر دول أوربية فقد علم كما يعلم كل خير بصير انها دول تجارية تنجر بالأمم والشعوب والدول ، وانها لا تراعي في تجارتها حقاً ولا عدلاً ، ولا رحمة ولا فضلاً ، وانما رأس مالها القوة والحيلة والأثرة ، فلا يقدر أن يستفيد منها ، الا من جعل منفعتها وسيلة الى منفعتها ، وهبات أن يتسنى للأدنى ، أن يستخدم لمنافعه من هو أعلى منه قوة وعلماً . وما كل من تنفعه تقدر أن تستخدمه ، وناهيك بدول أوربية ومعارضة بعضها لبعض في سياستها أو مطامعها في بلادنا ، فاذا أراد بعضها أن ينفعنا قليلاً لينتفع منا كثيراً ، عارضه في ذلك من يكره لنا هذه المنفعة ويراه عتبة في طريق مطامعها فينا

وكان الفقيد يعلم أيضاً ان شعوب أوربية خير من حكوماتها ، وان فيهم كثيراً من الاحرار ومحبي الحق والخير لكل البشر ، وان رأي الشعب العام انه السلطان الاعلى على الحكومات ، فلهذا كان يرى أخيراً أنه ينبغي أن يكون للمصريين صلة

(المنار - ج ١ م ١٧) الجرائد والأحزاب بمصر ومكان المؤيد منها ٦٩

بعض أهل الفضيلة من أحرار الانكليز اعلمهم يستعينون بهم على مقاصدهم، وإيصال ما يشكون منه بحق من إنكليز مصر الى انكليز لندرة . حتى لا تكون الشؤون المصرية محجوبة عن محبي الانصاف، لا يعرفون منها الا ما يكتبه عميد انكلترة في مصر الى ناظر الخارجية في لندرة وبعض مراسلي الجرائد . والعمل بهذا الرأي إما أن ينفع وإما أن لا يضر . ولكن عارضة فيه أحداث الوطنية في جريدة اللواء وما أحدثوه بعد مصطفى كامل من الجرائد كدأبهم وعادتهم ، وقد ينال وجه ذلك عندهم في هذه الترجمة (الجرائد والأحزاب بمصر)

ونقول ههنا إن السياسة في مصر لا تظهر لها الا الجرائد ، وقد تألفت الأحزاب لأجل الجرائد ومديري سياسة الجرائد ، ولم يستطع حزب من الأحزاب أن يجعل جريدة أكثر رواجاً وقبولاً من جريدة أخرى عند الرأي العام بمصر . وقد سبق القول بأن الجرائد العربية المؤثرة في الجمهور المصري كانت ثلاثة : الاهرام والمقطم والمؤيد ، وأن التنازع انما كان أولاً بين الاهرام والمقطم . ثم كانت الاهرام تشايع المؤيد بعد ظهوره لاتفاقه معها في الميل الى السياسة الفرنسية التي تعد الاهرام هي الركن الأول لها ، ولأن مشابهته على المقطم كانت تعد من آيات صدق الخدمة الوطنية لمصر . ولما انقطع أمل المصريين من فرنسا صارت جريدة الاهرام في المرتبة الثانية بين الجرائد اليومية، بل كادت تموت من شدة ضعفها، لولا أن تداركها همة بشارة باشا تقلا القوية ومن ساعده على تحريرها من أذكاء الكتاب ، وأعانته على ذلك ثقة جمهور التجار والزراع بأخبارها التجارية . بذلك انتعشت بعد أن سقطت ، وارتفعت بعد ان انخفضت . وحفظت مكانتها بين الجرائد اليومية الكبرى ، فان لم تعد رأساً في سياسة خاصة، فهي رأس في الثروة والمباحث العامة . ولا يضاهاها في هذين الأمرين الا المقطم . فهما الآن في مقدمة الجرائد المصرية في الثروة ، وسمة الاخبار العامة ، والقدرة على التصرف في الكلام عن الشؤون المصرية . على انهما لم تألف لهما أحزاب ، وانما تلك كفاءة أصحابهما ومحرريهما ، والجمع بين حسن الادارة ، والبراعة في الكتابة

وقد تألف في مصر ثلاثة أحزاب سياسية حول ثلاث جرائد يومية ، هن أكبر جرائد مسلمي هذا القطر وأوسمها انتشاراً - المؤيد واللواء والجريدة - ولم يكن لواحدة منهن دخل يوازي دخل المقطم والاهرام الا للمؤيد، فقد كان أوسع منهما انتشاراً وعلى مقربة منهما في المال، ولو أتيح للمؤيد مدير مالي يسير بإدارته سيرة أصحاب تلك الجريدتين لسكانت أوسع الجرائد ثروة، على أن الشيخ رحمه الله عاش به في سعة ورخاء، كما

٧٠ مكانة جريدة المؤيد والخوف عليها وما يدرك به (المنار - ج ١٧)

يعيش الامراء والسكباء ، حتى تورط في شراء الدور وأراضي البناء ، في ابان اميراف الناس في التغالي بها ، فركبته الديون وجاءت سنو العسرة المالية فأنت على جميع مافي يده ، وكادت تذهب بالمؤيد نفسه ، لولا أن تداركه بتأسيس شركة مساهمة له ، خالت دون موته ، لادون مرضه ، فقد مرض المؤيد امراضاً أشرفت به على الموت عدة مرار ، وصارت حركة ظهوره كحركة المذبوح أو حركة الاستمرار ، وهو لا يزال محتاجا الى تجديد الحياة ، وأما يكون ذلك بحسن الادارة والنظام ، وجعل التحرير على الوجه الذي ينه من قبل ، وهو ما به يظل المؤيد صاحب التأثير الاول في كل مايتعلق بمصالح المسلمين في مصر ، - ركذا في غيرها - ثم بالمصالح المصرية والعثمانية . فاذا قصر المؤيد في هذا الامر الذي لم يكن لولاه أمرا ذابا ، يحكم عليه الرأي العام الاسلامي بالعدم والزوال ، ويطلب بلسان حاله جريدة تحل محله حتى ينهض بها من يؤهله الاستعداد ، من الشركات أو الافراد

وجملة مايزيد الاعتبار به أن المؤيد قد جعله مشربه الاسلامي والمصري فوق جرائد القطر كلها ، بل جعله حاجة طبيعية ، من حاج البلاد المصرية فالاسلامية ، ولقي من المساعدة والاقبال ما لم يلق غيره ، ومع هذا كله لم يستطع أن يكون في ثبات الاهرام والمقطم وفي مثل ثروتهم ، ولا في المحافظة على إشعار الجماهير بحاجاتهم اليه ، وبانه لا بد لهم في الحوادث الطارئة من رأيه ، وقد ألف صاحبه له حزبا سياسيا سماه (حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية) فلم يفده قوة تذكر ، ولا رد عنه غارة تشن ، وأما كانت قوته المنوية في هجومه ودفاعه سنان قلم الشيخ علي ، وحسن استعماله لأسنة الافلام التي كانت تساعد ، ومنها ما كان أنفذ من سنانه في بعض الشؤون وأقتل . فلما مرض الشيخ مرض المؤيد ، ولما مات خشي الناس أن يموت كما مات حزبه ، ولكن الشركة المالية تداركت حياته المادية ، وعسى أن توفق لتدارك حياته المنوية ، فان لم يتم هذا يفقد مسلمو مصر الاتفايع بقوتهم المنوية ، ولا يبقى لهم قائد منهم في حياتهم السياسية والادبية ، ولا مدافع يؤثر صوته في مصالحهم الدينية ، فالشعب جريدة احداث جهال ، والجريدة ليست اسلامية المشرب ، والاهالي كذلك ، على انها ولدت سقطا كما قال أحد الأدباء . فالجريدة الاسلامية المصرية هي المؤيد ، فاذا مات يعسر وجود خلف له . وانني بهذه الحرية في الصريحة ، ربما أثير على نفسي حقدا قديما وعداوة جديدة ، ولا أبالي ذلك في سبيل مصلحة المسلمين ، على أنني است على نفة من قبولها والله الموفق

(المنار - ج ١ م ١٧) جريدة اللواء. مشربها وكيف عاشت وماتت ٧١

وأما اللواء فقد بينا أن منشئه تربى في مدرسة المؤيد السياسية ، فكان تلميذا له ، إلا أنه عقه وكفره ، وكان يحسب أنه يبذه أو يكون ناسخاً له ، لأنه يبالغ ويغلو في كل المقاصد التي صار المؤيد يسلك سبل الاعتدال فيها ، كمدح السياسة الحميدة ، وذم الحكومة المصرية ، ومقاومة الاحتلال ، بالذم والاحتجاج ، وذلك أن الناس كانوا قد ألفوا بعض المبالغة من المؤيد ، فإذا أرجعته عنها الحكمة والخبرة ، يعد عوامهم وشبابهم ذلك من تغيير الحطة ، ومن دأب الاحداث والعوام ، حب الاغراق والغلو في الكلام ، وناهيك بما يتعلق منه بالسياسة والحكام . وقد بذَّ اللواء المؤيد في المبالغة بهذه المقاصد ، وانفرد دونه بدعوة مسلمي مصر الى تكوين رابطة جنسية وطنية ، لسكنها رابطة تنافي إخاء الاسلام ولا ترضي القبط وسائر طوائف النصرانية صادف اللواء من مساعدة الاستانة ومساعدة بعض أراء مصر وأغنيائها ما لم تصادفه جريدة أخرى . حتى كان يبذل له الذهب بالآلوف ، وهو على هذا كله لم يتسع انتشاره الا بعد سنين من انشائه ، ثم إنه غلب المؤيد على استيالة أكثر تلاميذ المدارس وكثير من العوام ، وصار المؤيد باعتداله - على رضاء أكثر العوام عنه - جريدة الخواص . لم يستطع اللواء أن يصل بكل ذلك الى أن يكون كجريدة الاهرام أو المقطم في ثباتهما وثروتتهما ، وقد ألف صاحبه له الحزب الوطني الحديث (١) وألف شركة وأسس ماها عشرون ألف جنيه لاجل إصدار لواء أو لوائين آخرين باللغتين الفرنسية والانكليزية . وانما كانت هذه الشركة صورية لا غرض منها الا بذل ذلك المال لمصطفى كامل يتصرف فيه كما يشاء - كما يفهم من قانونها - وقد فعل . أضاع هذا المال كما أضاع ما سبقه من الامانات مع كل غلة اللواء ومطبعته في السرف والخيالة والمضاربات ، وطفق ينشد في اللواء شركاء يشتركون سهاماً أخرى من الشركة فلم يستجب لرقيته أحد ، ولم يلبث مصطفى باشا كامل أن مرض وضاعف ثقل المرض عليه هم الدين والهوز ، وفي أثناء مرضه ألف الحزب الوطني الحديث (١) وكل ذلك لم يفن شيئاً . ومات (كما مات صاحب المؤيد بعده) مثقلاً بالديون ، فقد تبين ان عليه عشرات الآلوف من الجنيهات . وقد حجز الدائتون مطبعة اللواء ، وبيع أناث زعيم الوطنية في محل رجل رومي يبيع الأناث بالمزاد ، ثم مات اللواء بعد أن اضطر أصحابه الى استخدام بعض الكتاب من نصارى السوريين لتحريره وقد كان أعدى أعدائهم ، وبعد أن انشق الحزب

(١) أول من ألف حزبا سياسياً بمصر باسم الحزب الوطني حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني . والحزب الذي كان يذكره مصطفى كامل في حال صحته لم يكن حزبا مكونا بالعلم

وأنشأ بسعي محمد بك فريد رئيسه جريدة لتكون لسان حاله سماها العلم (بالنحر يك) ناطقاً برئاسة نحريرها بالشيخ عبد العزيز شاويش، فكانت دون اللواء واحط منه في كل شيء إلا القلوب والأمراف، في الكذب والأرجاف، والطمع في الشعوب والأفراد. لذلك اضطرت الحكومة إلى إلغائها بعد أن حوكم رئيس نحريرها (شاويش) غير مرة، وحكم عليه بالسجن وسجن.

في أثناء هذه الحوادث كان المتحمسون من رجال الحزب الوطني وآخرون ممن يودون استمالة محبي الرجل من التلاميذ يجمعون المال لنصب تمثال له، يخلدون به ذكره، ولو راعوا الآداب الإسلامية لحافظوا بهذا المال على جريدة اللواء، وانتقوا لها محررين من العقلاء الأدباء، فإن هذا هو الذي يحفظ ذكره كما حفظ الأهرام اسمي سليم قلا وبشاره قلا. فما من يوم إلا ويقرا الأهرام ألوف من الناس يرون هذين الاسمين ويتذكرون مؤسسي هذه الجريدة المرقية. وفي مصر عدة تماثيل لا يحظر أصحابها لأحد على بال حق عند رؤيتها مائة بالشوارع.

وأما (الجريدة) فالمبرة بها أعظم فقد أنشأها جماعة من سروات البلاد أصحاب الثروة والمكانة الاجتماعية، وحصلوا لها رأس مال عظيم، ووضعوا لها قبل النشأ قانونا من أدق القوانين، وأسسوا لها مطبعة من أرق المطابع، وجعلوا إدارتها ومطبتها في قصر من أحسن القصور، واختاروا لها مديرا من أذكى الكتاب واعلمهم بالسياسة والقوانين واختار هو من المحررين من سبق لهم التمرن على الكتابة حتى في إدارة الأهرام وإدارة المقطف والمقطم. وألف أولئك السروات المؤسسون لها حزبا سياسيا يكفلها سموه (حزب الأمة) فهي قد ولدت بالغة راشدة فلم تكن كالنؤيد واللواء طفلان في إدارته رويدا رويدا ولكنها على كل هذه المزاي لم تستطع أن تجد لها مقعدا ولا موقفا من المسكان القسيس الذي وجده قبلها النؤيد أو اللواء من قلب الرأي العام المصري، ولم تستطع أن تمال من حبيه بعض ما ينال المقطم أو الأهرام، بل كانت تحتاج كل سنة إلى إمداد أولئك السروات لها بهم، على أنها ليست في الحقيقة لسان حالهم، وسبب ذلك كله أن الروح الذي قنع في هذه الجريدة لتجيا به ليس إسلاميا، وإنما هو فلسفة خاصة لا تكاد تتجاوز دماغ مدير الجريدة وأدمغة بعض أصدقائه من المحامين وغيرهم (الذين هم حزب الجريدة المضوي لا المالي) إلا بتدرج بطيء جدا، ثم أنه لا يرجي أن يعم، وليس من الحكمة ولا مما يبيح الاقتصاد أن يكون له جريدة توقف عليه في مثل هذه البلاد التي لم تستمد لأب تعيش فيها

(المنار-ج ١ م ١٧) الجرائد والأحزاب بمصر ومكان المؤيد منها ٧٣

جريدة أو مجلة خاصة بشيء واحد مما تهتم الحاجة إليه كالاقتصاد والزراعة أو الأدب،
دع الفلسفة بمجملتها ، دون مذاهب الافراد فيها فقط

وجملة القول ان الجريدة لا ترمي عن قوس عقيدة مسلمي مصر ، ولا تصلح
للتأثير بالرأي العام المصري ولا فيه ، فهي لا تستطيع أن تخدمه كما يجب ، ولا أن
تستخدمه كما نحب ، لان روحها غير اسلامي ، فلا هي لسان حال المسلمين ، ولا
لسان الذين أسست بأموالهم منهم ، وهم لم يستمروا على الاتفاق عليها الا لما يشعرون
به من الفضاضة عليهم اذا ألفوها وأبطلوها ، ولا يرجى لها بهذا المشرب أن تبلغ شأو
المقطم أو الاهرام من قوس الناس ولا من الرواج والرجح

فظهر بما شرعناه ان الاحزاب في مصر لا عمل لها ولا تأثير الا بالجرائد ، وان
الجرائد بالرجال الذين يتولون سياستها وادارتها ، وانه لم توجد بمصر جريدة للمسلمين
حسنة الادارة والنظام اللهم الا الجريدة في المجلة أو في ضبط الاعمال المالية وان جريدة
المؤيد هي الجريدة الاسلامية السياسية التي أوجدتها الحوادث وكفاهة الشيخ علي
يوسف في مكانة من الرأي العام الاسلامي يرفعها لها أهل الساسة في أوربة ، ويمدونها
لسان حال مسلمي مصر وغير مصر أيضاً . وحذت جريدة اللواء حذوها ، ولم تبلغ
شأوها ، لأن صاحب المؤيد كان في السياسة الاسلامية مستقلاً ، وصاحب جريدة
اللواء كان فيها مقلداً ، وانما كان حظه منها بقدر ما اقتبس من سياسة المؤيد . وكل
ما خالف فيه المؤيد كان خطأ في جملة ، ان لم يكن خطأ في كل فروعه وجزئياته ،
ولكن الفرية لا تكون الا بالخلافه في بعض الشؤون ، فصاحب المؤيد واللواء هما
أوجدا المؤيد واللواء ، وقد كان لسوء تصرفهما المالي دخل عظيم في اضعاف جريدتهما ،
حق ماتت احدهما بعد موت صاحبها بعد ما اشرفت على الموت المالي في عهده ،
ويخشى أن تموت الاخرى مثلها ، ان لم يمن بها أهل الفيرة والبصيرة عناية يراعى
فيها ما ينه في هذه الترجمة مرارا .

فيجب على مسلمي مصر أن يتدبروا هذا النقص العظيم ، وأن يتذكروا ان شعبهم
المستعد للعالم والأدب والترية السياسية والاقتصادية ، هو الذي جعل الاهرام والمقطم
أغنى الجرائد في بلاده ، لان اصحابهما عرفوا كيف يحاطبونه بحسب استعدادهم ، وهو
قد ساعد المؤيد واللواء ما لم يساعدهما ، فيجب على من يخدمه أن يخاطبه بلسان
استعدادهم . وأن يتذكروا ان (مصر) و(الوطن) الجريدتين القبطيتين، تليان في الثروة

والثبات الازهرام والمقطم السوريتين . ولولا عصبيتهم القبطية لما كانتا دونهما تأثيرا في نفوس المسلمين . فمن النقص بل من العاف على المسلمين أن لا يكون لهم جريدة أو جرائد مثل هذه أو أرقى منها في النظام والثروة ، بله التأثير والحظوة ان لي أن أفاخر بكفاءة أصحاب المنظم والاهرام ومحروبيهما وبراعتهم ، لانهم من أبناء وطني الاول الذي هو وطن المولد والمنشأ . وأود - والله - أن أفر بمثل عملهم من أبناء ديني ووطني الثاني الذي هو وطن العمل . ولا يسرني من مثل المنظم والاهرام في مصر الا ما ينفع المصريين ، لان أبناء وطني السوريين ليس لهم مصالح في مصر تنافي مصالح المصريين ، فهم غير محتاجين الى جرائد خاصة لهم من دون المصريين ، لاجل هذا بهمني أمر المؤيد ، ويسرني أن يكون أرقى الجرائد المصرية تحريرا ونظاما واقادة واستفادة ، لان المسلم أجدر بمعرفة حاجة الجمهور المسلم وبياناتها والدفاع عنها ، من مثله في علمه وبيانه من غير المسلمين ، وأقدر على التأثير فيه بحمله على الخير أو صرفه عن الشر ، وعلى التأثير به بحمله مجنا يدفع به عنه ما يراه ضارا به . وقد رأيت غير واحد من المشتغلين بالعلم والسياسة من النصارى يمتنون لو ولدوا مسلمين ، لأجل أن يكونوا أقدر على خدمة وطنهم أو الشرق الاسلامي كله .

وما أطلت الكلام على الجرائد في ترجمة الشيخ علي يوسف الا لأذكر لإخواني مسلمي مصر بما أراهم غافلين عنه ، وهو أنه لم توجد لهم جريدة تصح ان تكون لسان حالهم بحق الا المؤيد ، وان الروح الذي كان به المؤيد هو المؤيد يجب ان يبقى له ، ويجب ان يكفل ، وان يكون لهيئة التحرير فيه مع الرئيس الكفو ، مراقب موثوق به ، مثل سعد باشا زغلول الذي كان ركنا من أركان تأسيس المؤيد . والا خسر مسلمو مصر خسارة يصعب عليهم الاستعاضة عنها في سنة أو سنين قليلة ، وربما حرموها الاجيال طويلة ، وقد ذكرناهم بما يوجب العبرة من تاريخ أعظم جرائدهم

هذا وان أية جريدة من جرائد المسلمين في مصر يتولى رئاسة تحريرها كاتب خبير بمصالح المسلمين غيور عليها ، قادر على الدفاع عنها ، يمكن ان تحل محل المؤيد الاول وأن تكون أكمل منه فيه وأثبت ، ولكن لا يكون ذلك الا بعد ثقة الجمهور المسلم بها ، وهذه الثقة اذا استعادها المؤيد في سنة واحدة ، لا تهاها جريدة جديدة الا بعد سنين كثيرة أو قليلة ، ومن ذا الذي ينفق على جريدة جديدة عدة سنين ، منتظرا طرؤه الحوادث التي تقنع الرأي العام بانها هي حاجته التي يطلبها لسان حاله واستعداداه ؟

(للترجمة بقية)

الجامعة الإسلامية والسياسة

(جمعية إسلامية . مدرسة جامعة بالمدينة المنورة . استغلال الحجرة النبوية)

تجدد الخوض في ذكر الجامعة الإسلامية بما ظهر أخيراً من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالاستفادة من نفوذ الدولة الديني لما ظهر لها من تأثير الدين في السياسة ، وضرر ما كان من اعراضها عنه ، ومن اهتمام مسلمي الارض كافة بحرب طرابلس وحرب البلقان ، وبذلم المال لاعانة الدولة على الحرب بقدر الامكان ، ومطالبة مسلمي الهند لدولتهم البريطانية بمساعدتها ، واستيائهم من ميلها للبلقانيين . ففي أثناء الحرب ألغوا في الآستانة جمعية إسلامية خيرية تحت رياسة أو رعاية ولي عهد السلطنة . وكان أول من بذل المال لتأسيسها بعض وجهاء المصريين ، ويرجون أن يجمعوا لها مالا جماً ، وان لم يعرف العالم الاسلامي اين يذهب هذا المال وكيف ينفق ؟

المدرسة الجامعة بالمدينة

وإذا عوا في الاقطار خبر تأسيس مدرسة جامعة في المدينة المنورة - ويهبر عنها الترك باسم « دار فنون » - ثم أرسلوا وفدا اليها في أثناء زيارة الحجاج لها للاحتفال بالشروع في تأسيس هذه المدرسة الموسوعة لفتح باب الاشارات لها . ونحن فنظن ان نرى نظام هذه المدرسة لنعلم هل موضوعها دار فنون جامعة لكل الفنون والعلوم العالية كما يفهم من هذه التسمية أم لا ، ولتلم أي اللغات تكون لغة التعليم فيها ؟ هل هي العربية أم التركية ؟ ومن أين يأتون بالتلاميذ الذين تلقوا التعليم الابتدائي والثانوي ليدرسوا فيها الفنون والعلوم العالية ؟ وليس في المدينة ولا في الحجاز شيء من هذا التعليم ! ولا نبحث عن المعلمين والكتبة قبل أن نعرف لغة التعليم ، فان نظارة المعارف العثمانية تفتذر عما نطلبه من جعل التعليم في ولايات الدولة العربية بلغة اهلها ، وأظهر أعذارها عدم وجود الكتبة والمعلمين . وقد أذاعت الجرائد من بضعة أشهر أن النظارة ألقت لجنة فيها لأجل اختيار الكتبة العربية الصالحة . وعلينا انها طلبت نموذجاً من كتب التعليم التي تقرأ في المدارس المصرية الأميرية فأرسل اليها . والى الآن لم تر اصل اللجنة أراها يذكر . وإذا كانوا يريدون التمام في المدينة باللغة التركية فان لنا في ذلك كلاماً آخر . نقول هذا ونحن لا نأمل فلا نصدق أن حكومتنا توجد في المدينة المنورة مدرسة جامعة . ونرى ذلك غير مستطاع ان كان مراداً ، ولا نغان أنه مراد . ولكننا قد

تبنى بناء نخبة تسميه مدرسة جامعة، وتجلب اليه بعض الطلاب من بلاد مختلفة، فيملكون دروسا ابتدائية أو فوق الابتدائية، حسب استعداد من يحضر. ثم تستدعي أكف أعيان الحجاج وغيرهم لأجل ترقية المدرسة كما تستدعيها الآن لأجل تأديتها بامانهم وأما كون المراد من هذه المدرسة بث فكرة الجامعة الإسلامية في نفوس المسلمين - كما قالت الجرائد في هذه الاقطار وفي غيرها - فالظاهر ان السياسة الاتحادية الاخيرة تود إذاعة هذا المعنى عنها، وتخص الذين يتولون إنشاء المدرسة الآن على اقناع زوار المدينة المنورة وغيرهم بأن جمعية الاتحاد والترقي تخدم الدولة والاسلام، وأنه يجب ان تساعد على ذلك بما يستطيع من النفوذ والمال، وقد علم هذا من حال من اختارهم الجمعية للشروع في العمل، ومن الاحتفال الذي كان في المدينة المنورة، ومن حال المدبوب الذي بقي هنالك بعد الاحتفال (وهو الأمير شبيب أرسلان أحد أدباء طائفة الدرزي في جبل لبنان) الذي كتب العشرات بل المئات من المقالات في إطراد الجمعية والطمع في طلاب الإصلاح من العرب للبلاد العربية. أما الشيخ عبد العزيز شوايش رئيس لجنة ذلك الاحتفال في المدينة المنورة ورفيقه عبد النادر أفندي المغربي فهما من غلاة أنصارها الذين ثبتوا على خدمتها في الاقبال والأيديار، على اختلاف المظاهر والاطوار، ومن كان هذا شأنه معها فيما رجعت عنه من سياستها القديمة، فكيف لا يكون كذلك في سياستها الجديدة؟

أما أنا فأتيت لو توجد مدرسة جامعة في المدينة المنورة، أو مدرسة ما فيها كانت درجتها، ومهما كان الغرض من إنشائها، فإذا لم تكن كما نحب اليوم، فإنا نرجو أن تكون كما نحب غدا. ولهذا لم أكتب كلمة تحذير منها في المقالات التي أنحيت بها على أعمال الجمعية، أيام كان الخلاف بينها وبين قومنا العرب على أشده، حتى أنني عدت - كما كنت في عهد عبد الحميد - لا آمن على نفسي ان أحج بيت الله الحرام، أو أزور حرم رسوله عليه الصلاة والسلام، وكانت تمثل لي هذه المدرسة - عند سماع خبر العزم عليها - كمجد الضرر. وقد دخل قومنا معها الآن في طور جديد تمنينا فيه بكل ما نطلب من الإصلاح، والله المسئول ان تصدق الأماني ونحصل الآمال

وأما رأي الذي أنصح به للدولة، فهو ان تصدي رجالها السياسيين لتحريك أوتار الجامعة الإسلامية بضر الدولة كثيرا ولا ينفعها إلا قليلا، ويوشك ان تكون هذه الأقوال التي قيات في هذه المسألة - على قلة تأثيرها - من أسباب ما نراه من شدة

تحامل أوربة عليها ، وأكتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكروه الامام الغزالي في الاحياء : « كني يهوديا صرفا والا فلا تلبس بالتوراة »

ومرادي من هذا انه يجب عليها أحد امرين : (الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنحية ، الا ما كان من النظام، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتمطي مقام الخلافة حقه من إحياء دعوة الاسلام ، وإقامة الحدود وحرية أهل الأديان ، ولا يهجزها حينئذ ان ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم أهواء سياسية ، ولا ضلع مع الدول الأجنبية ، بل يكون إرضاءهم أسهل عليها منه الآن ان شاء الله . ولو كان لي رجاء في إصفاها الى هذا الرأي ، أو جعله محل النظر والبحث ، لينت ذلك بالتفصيل ، ولا وردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تفيذه من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجي لها من الخطر ، وان تراهي لكثير من الناس انه هو المسرع بالخطر ، ظنا منهم أن أوربة تسجل بالأجهزة على الدولة اذا علمت بأنها شرعت بنهضة إسلامية ، لعلها بأنها هذه هي حياتها الحقيقية ، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين (١) وان خوف منه بالنسبة والابهام أكثر السياسيين

{ الثاني } ان تدع كل ما عدا الامور الرسمية الممهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة ، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة ، ولها ان تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالحماية ، وكذا بالاعانات المالية من أوقاف المسلمين الخيرية ، (اذا كانت تريد بقاء الاوقاف العامة في يدها ولم تحب طلاب الاصلاح الى جعل أوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع ابقائهم بمعزل عن السياسة وأهلها . ولولا ان هذا هو رأي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد ، إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد ، ان يكون في يد جماعة حرة لا علاقة لها بالسياسة ، وان لا تخصص لها اعانة من خزانة الدولة ، بل تكون نفقاتها مما تججمه هي من الاعانات بأنواعها ، ومما تمطاه من أوقاف المسلمين الخيرية . (فستذكرون

(١) قال لورد كاتشر لبعض من لقيه بن العثمانيين المشتغلين بالسياسة : ان الدولة العثمانية لاتصلح بالقوانين التي تقتبسها منا (أي الأوربيين) ونحن ماضيت لنا هذه القوانين الابد ترندوبجية في عدة قرون كما نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لمبادئكم ولاحوالكم الاجتماعية فلواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين أوربة قديم المدل وتحفظ الأمن وتستغل بلادها الخصبة ، وعندني انها لاتصلح بغير هذا

ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ، إن الله بصير بالعباد)
استغلال الحجرة النبوية

بلغنا والمعهد على الرواة أن بعض المنافقين الذين يتقربون الى (حجة الاتحاد والترقي) باسم الدين ، واستنباط الوسائل منه الى استخراج المال من جيوب المسلمين ، قد زينوا لها أن تتخذ دفترًا تضعه في حجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . وتذيع في العالم الاسلامي كله أن من أراد أن يكتب اسمه في هذا الدفتر ، الذي وضع لدى قبر الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فليبذل قطعة من النقود الذهبية ، (كالجنيه الانكليزي أو الليرة العثمانية) ونحن نصح للدولة أو الجمعية بأن ترد هذا الاقتراح ولا تتفذه ، مهما زينه المنافقون ووسعوا دائرة الاماني فيه ، وأوهموها ان السواد الاعظم من المسلمين يقبلونه ، ظانين أنه بحماهم معروفين عند نبيهم (ص) محبوبين لديه ، مقبولين عنده ، وأنه يمكن أن يدعوهم الى البذل أن يقول لهم : انه (ص) ينظر في هذا الدفتر كل يوم ، ويقرأ هذه الاسماء ويدعو لأصحابها بخير هذه بدعة قبيحة لا نظن ان رجال الاتحاد يقبلون فيها قول المنافقين ، أو يحتاجون الى نصيح الناصحين ، وهي على كونها حدثًا وبدعة في مسجد الرسول (ص) وعبتا بالدين ، تحل بتعظيمه وتكريم مقامه (ص) وقد لعن من أحدث حدثًا في مسجده (وسأني الحديث فيه) وكذا في مدينته وما حولها : روى الشيخان في صحيحهما وغيرهما عن علي كرم الله وجهه أنه قال : ما كتبنا عن رسول الله (ص) الا القرآن وما في هذه الصحيفة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير الى نور (١) فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » الحديث

لا يعجز اصحاب الجراة من المنافقين ان يقولوا ان استغلال حجرة المصطفى وقبره (ص) يمثل هذا الدفتر لا يمد حدثًا ولا بدعة ، لانه وسيلة الى مساعدة الدولة على خدمة الدين (مثلا) ويمكن ان يتقى فيه الكذب في الدين وابهام الباطل والكذب على الرسول (ص) حتى لا يكون توسلا باسمه (ص) الى أكل أموال الناس بالباطل . ولكن أنصار السنة أهض حجة وأقوم قتيلا ، فلا يعجزهم أن يظهروا الدلائل

(١) عير ونور جبلان جملهما «ص» حدين للمدينة . ونور جبل بمكة أيضا وقد اشبه بعض شراح الحديث في هذا الذي في المدينة ، ورجح بعضهم رواية «ما بين عير وأحد» وان كانت الاولى أصح سندًا . وقال بعضهم تور الذي يحد المدينة وراء أحد الى الشمال وهو مدور ولونه الى الخمر . فالظاهر انه جبل صغير ثلثه بعض الناس جزءا من أحد

(المنار - ج ١ م ١٧) لعن من ابتدع في مسجد الرسول بدعة ما ٧٩

وآثار السلف التي تدحض هذه الشبهات ، وأن يبينوا للناس ان كل بدعة حدثت في الاسلام قد موهت بمثل هذا التويه ، وادعى محدثوها أنهم يخدمون بها الدين ، كما بينه الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام
وانني انقل هنا أثرا واحدا من آثار السلف الصالح في التوقي من احداث شيء في مسجد الرسول (ص) او مدينته حذرا من لعنته . نقل الشاطبي في بيان كون المبتدع ملعونا ما يأتي :

« قال ابو مصعب صاحب مالك : قدم علينا ابن مهدي - يعني المدينية - نصلي ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الامام رمة الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا - وكان قد صلى خلف الامام - فلما سلم قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه . فحبس . فقيل له : انه ابن مهدي (١) فوجه اليه وقال له : أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه ؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من أحدث في مسجدنا حديثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » فبكي ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك أبدا في مسجد النبي (ص) ولا في غيره .

(قال الشاطبي) وهذا غاية في التوقي والتحفظ في ترك احداث ما لم يكن خوفا من تلك اللعنة ، فما ظنك بما سوى وضع الثوب ؟ اه (ونقول) فما ظنك بدعة وحدث في حجرة الرسول {ص} يتبعها الكذب عليه ، وأكل أموال الناس باسمه ، والزيادة في الدين الذي جاء به ، ولو لم يكن في ذلك من الزيادة في الدين إلا لحدث قربة جديدة وعبادة مخترعة هي التقرب الى الله تعالى والى رسوله (ص) بكتابة اسماء الناس في دفتر هنالك لكفى ، فان قالوا اننا لانعده قربة ولا سببا للثواب . قلنا اذا هو غش واحتيال ، لأجل سلب الاموال ، فان من يعلم ان كتابة اسمه لا تقربه الى الله ورسوله ، لا يدفع المال لأجلها . . . هذا ولولا الاخلاص في النصيحة لله ولرسوله وللدولة لما كتبت هذا قبل إحداث هذا الحدث المقترح ، والله اعلم خبير

(١) هو عبد الرحمن بن مهدي الشهير بالصلاح والعلم والعمل ، كان يحتم القرآن كل ليلة ويتمجده بنصقه . لهذا كان قولهم للامام مالك « هذا ابن مهدي » سببا لمبادرته الى اخراجه من الحبس لعلمه أن كلمة حق واحدة تؤثر في نفسه ، ما لا يؤثر الحبس الطويل في نفس غيره .

﴿ انتقاد أجوبة المنار لمن سأل عن حكم الحج ﴾

كتب الينا غير واحد من البحرين أن الذي سألنا عن حكم الحج وامرار المناسك لم يكن يريد الحج هو وأصحابه ، وما أسئلتهم تلك الا مظهر مافي نفوسهم من الاعتراض على الدين وعدم الاذعان لأحكامه ، وانهما كان ينبغي ان يجابوا الا أن يقال لهم: هذا ديننا فان كنتم من أهله فأقيموا أركانه وأدوا فرائضه ، والا فالزموا شأنكم .

هذا معنى ما كتب الينا ، وصرحوا بأن سبب سوء اعتقادهم في السائل ومن على شاكلته أنهم قد تعلموا في مدرسة دعاة النصرانية { المبشرين } فأزاعوا عقائدهم أما نحن فنقول ان الاسئلة التي أرسلت الينا تدل على أن السائل قد عرضت له شبهات في هذه العبادة (الحج) فهو إما حريص على دينه يسأل العلماء ليأخذ عنهم ما يدفعها بها ليكون على بصيرة من دينه ، وإما معجز أو شك يحترق علماء المسلمين ليرى ما عندهم ، حتى اذا عجزوا عن بيان حكم هذه المناسك عذر نفسه ، واطمأن بما عنده .

والواجب علينا ان نغلب حسن الظن ما وجدنا له منفذا ، وان نجيب طالب العلم مهما كان قصده ، فان كان مؤمنا ازداد ببيان حكمة الدين إيمانا ، وان كان شاك أو زائعا يوشك ان يعود الى الرشد، ويطمئن بما ظهر له من الحق . ولا ينبغي لنا ان نتهم أحدا في دينه بالشبهة ، ولا أن ندع من يشككم دعاة النصرانية في الحق وشأنهم ، بل ينبغي لنا ان نجذبهم الينا ، اذا هم أعرضوا عنا وتركوا سؤالنا . فاذا ترك الحق الباطل يصول بشبهاته على أحداث المسلمين، يرقون كلهم من الدين .

واذا كان بعض أهل البحرين يعلمون مبلغ افساد دعاة النصرانية في بلادهم ، فلماذا لا يحذرون الغافلين من ارسال أولادهم الى مدارسهم ، ويتفنونهم عنها بمدرسة اسلامية ينشئونهم فيها ، يعلمونهم فيها من علوم المعاش ما يعلمهم هؤلاء المفسدون ، ويزيدون عليهم تعلم عقائد الاسلام وأحكامه وحكمه وآدابه وتاريخه بدلا من النصرانية وشؤون أهلها ؟ الا يعلمون أنهم بترك معارضة هؤلاء المخربين لدينهم آمنون كلهم ؟ وان هذا الأمر لا يزول الا بانشاء مدرسة ينقذون فيها أولادهم من مدرسة دعاة النصرانية التي ستلقي العداوة بينهم وبين أولادهم وتقطع صلتهم بهم في الدنيا والآخرة ؟؟

وعسى أن يعتبر بهذا من يدعون في حضرموت وغيرها من اطراف جزيرة العرب الى جعل بلادهم للانكليز أو تحت حمايتهم ، ويفطنوا لما في ذلك من الخطر على دينهم